بفضل كل الخيال

- **Author**: Abdou gubeir
- **Title**: With All This Creativity, Short Stories about Naguib Mahfouz
- **First Edition**: 2014
- **Cover Design by**: Amr El Kafrawy

- **المؤلف:** عبده جبير
- **العنوان:** بفضل كل الخيال
- **الطبعة:** الأولى 2014
- **تصميم الغلاف:** عمرو الكفراوي

رقم الإيداع:
١٠١٤١ / ٢٠١٤

الترقيم الدولي: ISBN
978 - 977 - 765 - 001 - 4

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه. أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن مسبق من الناشر.

All rights are reserved. No Part of this book may be reproduced، stored in a retrieval system، or transmitted in any form، or by any means without prior permission in writing from the publisher.

Afaq Bookshop & Publishing House

75 QASR – ALAINI ST.، in Front of Dar Al-Hekma، - CAIRO – EGYPT
Tel: +202-2795-3811 Fax: 00202-2795-4633
E-mail:afaqbooks@yahoo.com – www.afaqbooks.com

٧٥ ش القصر العيني – أمام دار الحكمة – القاهرة – جمهورية مصر العربية
ت: ٢٧٩٥ ٣٨١١ فاكس: ٢٧٩٥ ٤٦٣٣

عبده جبير

بفضل كل الخيال

بالوثائق

قصص قصيرة مع نجيب محفوظ

آفاق - لامتان

بطاقة الفهرسة

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

جبير، عبده.

عبده جبير: بفضل كل الخيال

قصص قصيرة – قصص وثائقية مع نجيب محفوظ

عبده جبير – ط1 القاهرة – دار آفاق للنشر والتوزيع – 2014

186 ص، 20 سم.

رقم الإيداع 10141 / 2014

الترقيم الدولي 978 – 977 – 765 – 001 – 4

1 – قصص قصيرة

2 – جبير، عبده

نعم

نعم ياعم نجيب.

بفضل الخيال الذي منه قالت الأم الصعيدية المكلومة علي ابنها (البكري) الوحيد، الذي مات من المرض:

ـ «*حتى حشيش البير فتشته*

علي دوا العيان ما وجدته»

أيوه يا عم نجيب.

لا أنسي انك قلت حين سمعتني أروي هذا العديد:

ـ يا بنت الإيه ... دا كله خيال.

تقدمة

خلال السنين، تكومت لديّ قصص عديدة،نشرت أغلبها في الصحف والمجلات العربية، كان موضوعها هو: «نجيب محفوظ»، لم أكن قد قرأت هذه القصص منذ فترة، وظلت قابعة في ملفات أرشيفي الشخصي، لا تلوي علي شيء.

ثم أنني وجدت نفسي، وفي أعقاب الموجة الأولي من الثورة المصرية (٢٥ يناير ٢٠١١ م) في حالة غريبة للغاية، إذ كانت الأفكار التي تبدو نابهة تتوارد إلي ذهني واحدة بعد الأخرى، وكنت أجلس بحماس شديد لكتابتها، لكن وبمجرد أن أصل إلي الثلث أو المنتصف، وأحيانا أبعد من ذلك، حتى تحدث حادثة أخري يموت فيها الشباب أو تتمزق أجسادهم، أو تطير أعينهم، وأنا أقف عاجزا عن فعل أي شيء سوي البكاء: نعم لقد بكيت كما لم أبك أبدا في حياتي، ولساعات وأيام طالت عن مجموع الساعات والأيام التي قضيتها في حالة حب صافية، غير قادر علي الاستمرار في إنهاء أي نص أكتبه، فما أن أبدأ في شيء ما، حتى تحدث مجزرة أخري،يموت فيها العشرات من الشباب، وتفقأ

أعين آخرين أو تطير أطرافهم، فتتداخل الأسلاك الكهربائية في رأسي، فيشيط عقلي ويتشتت ذهني وأصبح غير قادر علي ترتيب الكلام أو اقتناص الصور، وينتهي الحماس، وتطير الطيور.

لكن وما أن تمر أيام حتى أجدني مضطرا، كأي كائن حي يحس بضرورة التحايل علي عوادي الزمن ليقف مرة أخري مصلوب العود (كما يقول العرب) لأبدأ في ممارسة طقوس التأمل، لأستعيد قدرتي علي الجلوس إلي مكتبي وأبدأ التفكير في العمل، ولكن المأساة تتكرر مرة أخري، ويتكرر الحال مرة أخري.

حتى، وفجأة، وفي غفلة من الزمن، وجدت نفسي أعيش في بلد تحكمه الجماعة الوحيدة التي مارست الاغتيال في تاريخ العمل العام في مصر، وهو ما لم أتخيل يوما أن أراه أو أعيشه، ولا حتى في أشد الكوابيس بشاعة.

وكان أن أصبت بحالة من الشلل التام، خاصة وأن ما كان يجري، علي أيدي عصابة الأخوان يصب في محاولة مستميتة لتغيير هوية مصر كلها، لتصبح شيئا آخر، غير ما هي عليه، ثابتة راسخة، علي الرغم من المحن، منذ آلاف السنين، لنجد أنفسنا نعيش في القرون الوسطي الأشد انحطاطا من أي زمن عاشته مصر.

والأغرب فيما جري، أنني في البداية خلت أني الوحيد، من الكتاب، الذي أصيب بمثل هذه الحال، لكن سرعان ما اكتشفت أن أغلب زملائي الكتاب والفنانين هم أيضا مصابون بهذه الحال، يبدأ الواحد منهم في عمل ما، واثر حدوث حادثة، يتوقف عن الاستمرار، وهكذا.

في فترة الشلل هذه وجدتني أتسلي في فتح أدراجي، وإخراج ملفاتي، وتقليب صفحاتها، فإذا بي بمواد عديدة، بشيء من المراجعة والترتيب، يمكن أن تصبح كتبا لا بأس بها، وللحقيقة كان هذا الكتاب «قصص نجيب محفوظ» هو أول ما تبادر إلي ذهني، خاصة وأنني وجدت أن بعضا من فصوله نشرت في المكان الخطأ فلم تقرأ بشكل كاف، وتحمست لأن أعيد نشرها في كتاب، حتى تعم الفائدة، إذا كان فيها فائدة.

وهكذا وجدتني أمام مادة يمكن أن أخرج منها بعدة كتب، يأتي هذا الكتاب واحدا منها، لكنني كنت لم أزل فاقدا لحماسي في ظل تغلغل «الثعالب الصغيرة مفسدة الكروم» حتى وصلت إلي الحديقة الخلفية لبيتي الصغير الواقع علي بحيرة قارون بضاحية ريفية من ضواحي الفيوم.

حتى كان الزلزال، وينتفض الشعب المصري عن بكرة أبيه، في ثورة عارمة سجلت اسمها في كتاب الزمن كأضخم حركة احتجاج في تاريخ البشرية، وأسماها المصريون «ثورة ٣٠ يونيو»

وهكذا وجدت نفسي أسترد أنفاسي، وأعود للجلوس إلي مكتبي، وأبدأ العمل بحماس، وهكذا بدأت سلسلة من الكتب، تلك التي كانت متراكمة في نصوص لا تحتاج لأكثر من ترتيب وتهذيب و«حفحفة»، وكان هذا الكتاب الذي أسميته في البداية: «قصص قصيرة مع نجيب محفوظ» ثم اكتشفت في ورقة مفردة، صفحة «نعم» التي وضعتها في الصدارة، ولا تسألني، لأي سبب كتبت هذه الأمثولة، ولا متى، لكن يبقي لها فضل أنها أوحت لي بعنوان الكتاب كما تراه الآن بين يديك.

هذه إذن قصة كتاب: «بفضل كل الخيال.. قصص وثائقية مع نجيب محفوظ».

أذكر القارئ الكريم أن القصص المنشورة في هذا الكتاب هي قصص وثائقية، لذا فإن الاستعانة بأكبر عدد من الوثائق هو في صلب الغرض منه، لأنه أحيانا سيبدو أن هناك تزيدا في نشر بعض الوثائق، لذا لزم التنويه.

قصة / ١

اشتريت «ثرثرة فوق النيل» بفلوس دواء أبي وكيف أدي هذا إلي هروبي من البيت

لا بد أن يكون هذا قد حدث في العام ١٩٦٦ م، لأنني أذكر جيدا أني قد ارتكبت هذه الجريمة في مدينة أسوان، هذا مؤكد، وأنا كنت في أسوان مع والدي الذي انتقل للعمل مديرا أو ناظرا لمعهد أسوان الديني، وكنت في السنة الثانية الثانوية الأزهرية، قبلها كنت قد قضيت السنة الأولي الثانوية في مدينة قنا (حيث كان والدي يعمل مفتشا لمنطقة قنا الثانوية الأزهرية) وحين انتقل للعمل في أسوان كان لا بد من الانتقال معه.

لم يكن استئجار شقة للغرباء أمرا مألوفا في أسوان ذلك الوقت، خاصة إذا لم يكن مع المستأجر زوجته (وفى هذه الحالة يسمي عازب علي أي حال) ولم يكن من السهل أن تنتقل والدتي معنا (من إسنا إلي أسوان) بسبب أن عدد أخوتي الآخرين قد وصل إلي ستة، كذالك لأن والدي كان يسعي لأن ينتقل إلي البلد، وينتظر فقط قرار شيخ الأزهر، فلم يكن هناك داع لاستئجار بيت وفرشه، لذا نزلنا في بيت عمة والدتي، وهي كانت سيدة طيبة

وكريمة وكان بيتها كبيرا ولم يكن معها سوي ابن واحد يعمل مدرسا، وكان اسمه محمود عبد الله،يعيش معها في هذا البيت الواسع.

***

الشاهد أنني كنت في هذه الفترة قد اكتشفت نجيب محفوظ وقرأت كل ما وقعت عيناي عليه، من أعماله، وفي هذه الفترة كان ينشر رواية «ثرثرة فوق النيل» مسلسلة، كل يوم جمعة، في جريدة الأهرام، فكنت أتابعها بشغف لدرجة أنني كنت أذهب إلي محطة السكة الحديد وأنتظر بجوار بائع الجرايد هناك، لأحصل منه علي عدد أهرام الجمعة الذي كان الناس يتخطفونه، لا بسبب رواية نجيب محفوظ،بل بسبب مقال محمد حسنين هيكل «بصراحة» الذي كان ينشر في نفس العدد، وكان الناس في مصر كلها يعتقدون انه يحمل صوت عبد الناصر الذي كان قد حقق انتصارا كبيرا علي الاستعمار، ببناء السد العالي (الذي هو علي مرمي حجر) الذي كان قد افتتح لتوه، لذا كان الناس ينتظرون مقال هيكل بلهفة، مادام يحمل صوت الزعيم الملهم.

المهم انه وفي ليلة ليلاء من شتاء العام المذكور طلب مني والدي أن أشتري له العلاج (فقد كان يعاني من مرض السكر) وقبل أن أدخل الصيدلية الوحيدة التي كانت علي شاطئ النيل بعيدا عن بيت عمة والدتي، مررت علي بائع الصحف المجاور

للصيدلية، فإذا بي أفاجأ بـ «ثرثرة فوق النيل»، منشورة في كتاب.

كالمسحور، لم أفكر في خطورة الأمر، ولا في العواقب التي يمكن أن تحدث لي، ولا في أبي، ولا في حاجته للعلاج، ولا في كيف أتصرف وأنا ليس معي نقود، لم أفكر في شيء من هذا وذاك، بل أخرجت النقود من جيبي وسلمتها لبائع الجرائد وأخذت «ثرثرة فوق النيل» كالمنوم، دون أن أحس.

حملت الكتاب بشغف شديد، وضممته إلي صدري، ومشيت به حتى جلست علي أحد المقاعد علي شاطئ النيل، وفتحته علي الصفحة الأولي ورحت أقرأ:

«أبريل، شهر الغبار والأكاذيب، الحجرة الطويلة العالية السقف مخزن كئيب لدخان السجائر، الملفات تنعم براحة الموت فوق الأرفف، ويا لها من تسلية أن تلاحظ الموظف من جدية مظهره وهو يؤدي عملا تافها، التسجيل في السراكي، الحفظ في الملفات، الصادر والوارد، النمل والصراصير والعنكبوت ورائحة الغبار المتسللة من النوافذ المغلقة، وسأله رئيس القلم:

ـ هل أتممت البيان المطلوب ؟

فأجاب بلسان متراخ:

ـ نعم، ورفعته للمدير العام.

فرماه بنظرة نافذة لاحت كإشعاع بلوري من وراء نظارته

السميكة. هل ضبطه متلبسا بابتسامة بلهاء غير مبررة ؟! ولكن السخافات يجب أن تساغ في إبريل، شهر الغبار والأكاذيب».

وما أن رفعت عيني عن الكتاب حتى أحسست بكهرباء تسري في كل جسدي، إذ اكتشفت فجأة أنني قد ارتكبت مصيبة لا أعرف كيف يمكنني أن أخرج منها، قمت واقفا مفزوعا أخذت أمشي لا ألوي علي شيء (كما يقول العرب)، ماذا أفعل، ووالدي ينتظر مني أن أحضر له الدواء ؟

فكرت في الاستعانة بمحمود ابن عمة والدتي، لأحصل منه علي ثمن الدواء الذي اشتريت به الرواية، لكن كان هذا يعني أنني لابد أن أعود إلي البيت، ولا مندوحة (كما يقول العرب) من أن أمر علي والدي، لأننا كنا نقطن الطابق الأول من البيت (وهو المخصص كالعادة للضيوف)ومحمود عبد الله ووالدته يقطنان الطابق الثاني، لا، «مينفعش»، أخذت أمشي وأمشي حتى ابتعدت عن المنطقة المألوفة لي، ثم قلت أن أحاول العودة وأتسلل للبيت دون أن يراني والدي، «مينفعش»، آه، هناك حل: أن أذهب إلي ابن عمي فاروق،وأستلف منه ثمن الدواء، فعلا، هذا يحل المشكلة، لكن أين أنا من بيت ابن عمي ؟ لا أعرف، لأمض من هنا، أظن أنه قريب من هنا، وأخذت أمشي وأمشي، حتى اكتشفت أنني تهت، لا أعرف أين أنا أو لا حتى أين بيت عمة والدتي ، أحسست بضياع التوهان الذي لابد قد تكون قد جربته في الكوابيس، وأنت

تمشي وتمشي في شوارع شبه مظلمة، ومزروطة بالطين، لأن الناس كانوا يدلقون مياه الاستحمام وغسيل المواعين في الشارع لأنه لم يكن عندهم (أقصد في أسوان) مجاري، خاصة وأنك في النهاية أنت في بلد غريب، خاصة وأن أسوان كانت هذه الأيام تعج بالغرباء العاملين في السد العالي، وفي النهاية لم يكن بد من سؤال أحد المارة: من فضلك كيف الطريق للكورنيش؟، قلت لأذهب للكورنيش، ومن هناك يمكنني أن أستدل علي الطريق المؤدي إلي بيتنا، ومن هناك يمكنني أن «أستعدل» الطريق الذي كنت قد اعتدت الذهاب خلاله إلي بيت ابن عمي فاروق يحيي أب جبير، وفي النهاية وصلت وطرقت الباب:

ـ مين مين ؟

كان هذا صوت زوجة ابن عمي، وهي أيضا ابنة عمي الآخر.

ـ أنا عبده يا بنت عمي.

فتحت فالقا صغيرا من الباب وأطلت بوجهها المغطي بالطرحة.

ـ أيوة يا بن عمي ؟ خير ؟

ـ هوا فاروق موجود.

ـ لا والله يا بن عمي دا في الشغل أصل ورديته النهاردة في الليل.

يا للمصيبة.

طبعا وحسب تقاليد أهل الصعيد لا يجوز لك الدخول مادام رجل البيت غير موجود، حتى ولو كانت سيدة البيت ابنة عمك.

ـ شكرا يابنت عمي.

ـ أقوله حاجة لما ييجي الصبح ؟

ـ لا، شكرا.

ومضيت إلي حال سبيلي (حال سبيلي قال) أنا في مصيبة حقا وصدقا، وهاهو الوقت يمر، وبدأت المحلات تغلق أبوابها ـ والطريق يزداد ظلاما، وأنا تائه، بالفعل تهت مرة أخري حتى لم أعد أعرف أين أنا ولا كيف أعود إلي البيت.

لم يكن أمامي سوي العودة إلي الكورنيش، وهناك أخذ التعب بي كل مأخذ، وبدأت مخاوفي تتزايد، خاصة وأنا لا أحمل أي إثبات للشخصية، ونحن كنا نعيش في نظام الدورية، دورية البوليس الراكبة الخيل أو الراجلة، التي تطوف البلد لتقبض علي المتشردين (لحفظ الأمن) أنا فعلا في مصيبة، ماذا أفعل، لأجلس في ظل هذه الشجرة علي الكورنيش وأتمدد علي النجيل متطلعا للنجوم التي كانت تملأ السماء فوقي، تجري، وتدور، وتلف، وتأخذني للأعالي، ثم تهبط بي، حتى أحسست بأنني موشك علي الاختناق حتى الموت، لا، لقد أحسست بأنني فعلا أموت، ولا أعرف الوقت الذي مضي حتى أحسست بيد تقبض علي كتفي وترفعني عن الأرض :

ـ قوم، أصحي، مين انتا ؟

فإذا به فعلا شاويش الوردية وبجواره شاويش آخر.

ـ أنا عبده محمد عبده ابن شيخ المعهد الديني.

ـ وليه جاعد هنا ؟

ـ أنا تهت وموش عارف أروح.

ـ تهت ؟

ـ أيوه تهت.

ـ طيب وهوا بيتكم فين ؟.

الحقيقة أنني لم أكن أعرف اسم الشارع ولا اسم المنطقة التي نعيش فيها، وها هو ضوء النهار قد بدأ يرسل أشعته الخافتة.

ـ في شارع من الشوارع دي. أنا تهت.

ـ الشوارع دي ؟، تهت ؟ أنتا معاك بطاقة ؟

ـ لا. أنا كنت رايح أجيب الدوا لوالدي فضيلة الشيخ محمد عبده شيخ معهد أسوان الديني الثانوي، ونزلت بدون بطاقة، البطاقة في البيت، والفلوس وقعت مني فخفت أرجع البيت، وهه كمان الروشتة.

قال وهو يمد يده ويمسك بالروشتة ويتطلع إليها، ثم يعيدها إلّي، ويبدو انه تأكد من أنها فعلا روشتة.

ـ أيوه، فين البيت دا ؟

ـ بيت الأستاذ محمود عبد الله المدرس في المدرسة

الإعدادية المشتركة.

ـ مين محمود عبد الله دا ؟

ـ دا ابن عمة والدتي وإحنا نازلين عندهم.

خل بالك، أنت هنا تسمع كلاما لا يمكن إلا أن يكون، من وجهة نظر عسكري بوليس متخلف ومرتاب في كل البشر، مجرد كذب صريح، لأن الحكاية مضروبة وغير منطقية ومتتصدقش.

وعلي الرغم من أنني لم أكن أعرف المصير الذي سينتهي عليه حالي، إلا أنني وجدت في هذا حلا، أقصد أنني سقطت علي حل بحكاية ضياع الفلوس.

ونظر إلي زميله:

ـ ياجي معانا المركز الضابط يشوفله حل.

ـ لا يا راجل دا باين عليه ابن ناس.

ـ طيب وإحنا حنعمله إيه إذا كان تايه وموش عارف رايح فين ولا جاي منين ولا معاه بطاقة، وبيعدين دا بيقول ان الفلوس اتسرقت منه، يعني في هنا جريمة.

ثم فجأة وكأنه انتبه لشيء هام:

ـ وإيه اللي في أيدك دا ؟

ـ دا كتاب، رواية لنجيب محفوظ.

ـ محفوظ مين دا ؟ أنتا باين عليك بتاع حكايات، وحواديت، رواية؟.تعال معانا. فز.

ـ ياعم داباين عليه وراه حاجة وحاجات.

وفززت وأنا، كما يقول العرب، لا ألوي علي شيء، بل ومشيت معهما في سكات، وقد بدا أن دهرا كاملا يمضي ببطء شديد وأنا أحس بخوف العالم من أن ينتهي بي الأمر إلي الحبس لسرقة أموال أبي (لأنه سيكون هناك طبعا سين وجيم ولا بد أن الضابط لن يصدق الحكاية المضروبة، أقصد حكايتي البزرميط) وبخجل الدنيا من أن يراني أحد ممن يعرفونني وأنا في قبضة الوردية وهي ذاهبة بي إلي المركز، وعلي درجات المركز لم تحتملني قدماي فسقطت علي الأرض، لكن، وبعنف شديد رفعني الشاويش الذي بدأ، يبدو، يشك في أنني ربما فكرت في الهرب، لكنني ها،أنذا داخل المركز، حيث بضعة عساكر شبه نيام يجلسون هنا وهناك.

قال الشاويش لأحدهم وكان جالسا علي بنش مستطيل:

ـ خليه جنبك لغاية البيه النوبتشي ميصحي.

أجلسني العسكري شبه النائم بجواره علي البنش، وبدأ يتطلع إليّ بنظرات فيها إغواء من النوع الذي يمكنك أن تلحظه لأول وهلة من عيون فيها شبق ورغبة للنط عليك، خاصة وأنه بدأ يقترب فعلا حتى لمسني، فما كان مني إلا أن وقفت.

ـ إيه ؟ بتوقف ليه عاد ؟

ـ أنا أحب الوقوف.

ـ بوه، طيب خليك واقف.

وتمدد علي الكنبة حتى لم يعد لي مكان، ولكنني، أقول، أنني وطوال الوقت كنت أحس برعشة تزايدت مع حضور حضرة الضابط الذي جاء ناحيتي، وما أن جاء ناحيتي حتى رأيت محمود عبد الله، بلحمه وشحمه، يقبل مسرعا تجاهي:

ـ يخرب بيت مطنك ! انت كنت فين ؟

أشرت لمحمود عبد الله وأنا أنظر للضابط النوبتشي:

ـ دا الأستاذ محمود عبد الله ابن عمتي ؟

ولأن محمود عبد الله كان يعرف الضابط، والضابط يعرفه كما هو في المدن الصغيرة حيث يعرف الناس بعضهم البعض، أطلقني الضابط دون أن يأتي بأي إجراءات رسمية، بل وسلم علي بحرارة، وقد نسيت أن أذكر بأن العسكري الذي كان ممددا علي البنش كان قد انتصب واقفا.

حكيت لمحمود عبد الله ما جري بالضبط، وهو يكرر طوال الوقت، يخرب مطنك، يخرب مطنك، طب كنت جيت وأخدت مني تمن الكتاب، يخرب مطنك، أبوك منمش، وحيجنن.

وصلنا إلي البيت فوجدت والدي واقفا عند الباب، فما كان مني إلا أن تراجعت، محاولا الهرب، والحقيقة أنني كنت أحاول إخفاء الرواية، وبمجرد أن تمكنت من إلقائها خلف كوم من النفايات حتى وقفت واستجبت لنداء محمود عبد الله:

ـ تعال، متخفش، انا قلتله ان الفلوس ضاعت.

فعلا كان والدي قد هدأ:

ـ يابني كنت فين كل الوقت دا ؟

محمود عبد الله:

ـ معلش يا مولانا.

وجاءت أم محمود لتأخذني بعيدا عن والدي الغاضب:

ـ تعالي معاي يا حبيبي.

ولكن كف أبي كان قد لحق بوجهي حتى التصق جانب وجهي بأسناني من الداخل فإذا بنافورة من الدم تنز وتسيل علي فمي ورقبتي وهدومي.

حالت أم محمود دون تكرار الكف علي وجهي، وجرت بي إلي الطابق الأعلى، وهي بدورها ترغي وتزبد، وتضرب أخماسا في أسداس، وكفا بكف (كده برضه يا ولدي، تشوشونا طول الليل ؟) مولولة بأنها كيف لم تنم، وأن محمود خرج وجاء وخرج وجاء فلم يجدني، حتى انه ذهب إلي صاحب الصيدلية وأيقظه من النوم ـ وأنه ذهب إلي ابن عمي فقالت له زوجته أنني سألت عنه، وهي تسأل طوال الوقت: وليه مرجعتش وليه مرجعتش، وما أنا إلا نائم علي نفسي ولم أحس إلا وأنا في عصر اليوم التالي.

وكان أبي لا يزال في المعهد الديني، وطبعا ضاع اليوم الدراسي مني، وبحجة النزول إلي دورة المياه في الطابق

الأسفل، تسللت خارجا من البيت، و ذهبت حيث ألقيت بالرواية وللمفاجأة وجدتها هناك وقد تلطخ غلافها بالزبالة، فحملتها في عبي وتسللت بها عائدا إلي غرفتي،ورحت أنظفها، وكان عليّ أن أجد طريقة لإخفائها، فتدفق ذهني عن انتزاع الملزمة الأولي من أحد الكتب الدراسية بما فيها الغلاف، وقطع غلاف الرواية وتجليد هذا داخل ذاك، وهكذا أصبح لديّ مجلد ما أن تراه حتى تظن أنه كتاب دراسي، ولكنه في الحقيقة يخبئ الرواية داخله، ولكنه كان دائما تحت نظري لا أبعده عني حتى لا ينكشف الأمر.

ساءت علاقتي بوالدي إلي درجة أن الكلام بيننا كان يتم عن طريق محمود أو والدته، ومرت سنة من أسود سني عمري، ولكن لأن «القفلة» بيني وبين والدي استمرت طويلا حتى بعد أن انتهت السنة الدراسية، وعدنا لنقضي الأجازة في البلد، ثم فجأة وما أن لاح العام الدراسي الجديد في الأفق حتى نقل والدي إلي إسنا، وكانت حجة لي أن أطلب الانتقال إلي القاهرة بدلا من البقاء في أسوان إلا أن والدي رفض، طبعا بحجة أنني سوف أنساق في عالم الثقافة والأدب وأهمل الدراسة، وطالت الرسائل بيني وبينه عن طريق والدتي وأحد أعمامي لكنه كان مصرا علي رأيه، لذا فقد قررت، أن أهرب.

كانت «الزعلة» التي تسببت فيها «ثرثرة فوق النيل» قد قطعت خط الاتصال بيني وبين والدي، لكن الشاعر عبد الرحمن

الأبنودي هو الذي ألهمني ومدني بالقدرة (عن طريق المثال) لاتخاذ القرار، فتشجعت لرسم خطة الهروب، إذا كان الأبنودي قد هرب أيضا من قنا إلي القاهرة دون إرادة والده، وهناك، في القاهرة، نجح، فقلت لم لا أفعل مثله ؟ (أنظر تفاصيل الحكاية في كتابنا «أهم أسباب الليل، شهادات معلقة في رقبة المؤلف».

وهذا ما كان، هربت ليلا إلي القاهرة، ولم أعد مرة أخري إلي البلد طوال خمسة عشر عاما كاملة، بل لم أتبادل مع والدي أي كلمة، لا كتابة، أو شفاهة، طوال هذا الوقت، علي الرغم من أنه كان ينزل للقاهرة لقضاء بعض مصالحه، لكنه كان ينزل في بيت ابن عم لي، وهو كان يأتيني بقليل من المال بين شهر وآخر، وكان عليّ أن أعتمد علي نفسي، ومرت سنوات شاقة كان طعامي خلالها، لا يزيد عن العدس والفول والجرجير والماء، حتى ساءت صحتي وأصبت بالسل، لكنني تجاوزت المحنة، وعبرتها إلي العالم الذي أردت أن أعيشه، وهو ما يمكنك أن تقرأ تفاصيله، في كتاب آخر.

قصة / ٢

المقالة التي أغضبته
فوصف كاتبها بقلة الأدب

في يناير ١٩٧٧ م قمت بمغامرة إصدار مجلة شهرية مخصصة لعروض الكتب، أسميتها «كتب عربية» ومن اللحظة الأولي قررت أن يكون موضوع غلاف العدد الأول مقالا عن رواية «حضرة المحترم» التي كانت قد ظهرت للتو، وسعدت لأنني وجدت قبولا من الصديق سليمان فياض ليكتب المقال.

كان هدفي إذن هو الاحتفاء برواية محفوظ وبمحفوظ نفسه، بنشر مقال عن روايته في الصفحة الأولي، في العدد الأول، وما كان ظاهرا لي من خلال العلاقة التي نشأت بينه وبيني وبين كل الزملاء الذين كانوا يواظبون علي حضور ندوته في مقهى ريش، انه رجل متسامح يقبل النقد خاصة إذا كان موضوعيا ومن كاتب له قيمته الكبيرة مثل سليمان فياض.

نشرت المقال في صدر العدد الأول ومعه صورة نجيب محفوظ وبمجرد خروجه من المطبعة حملته إليه فرحا، وهو تلقاه لأول وهلة بابتسامة عريضة، وألقي عليه نظرة، وشكرني.

غادر المقهى والعدد تحت إبطه، وانتظرت للأسبوع التالي حتى أسمع رأيه، وقبل حضوره بوقت ذهبت للمقهى فوجدت سليمان فياض جالسا فجلست بجواره وما هي إلا دقائق حتى هل نجيب محفوظ داخلا المقهى بابتسامته المعهودة، لكنه وقد حيا الجميع تقريبا رمقنا (أنا وسليمان فياض) بنظرة خاطفة تغيرت خلالها ملامح وجهه إلي الجهامة، وتجاهلنا ماشيا إلي الركن الذي كان يجلس به ويستقبل مريديه كالعادة.

سألت فياض: إيه الحكاية ؟

قال وقد بدا عليه الارتباك:

ـ الظاهر إن المقالة معجبتوش.

ـ لا، دا واضح انه غضبان جدا.

ـ أيوه، باين، دا عمره ما عمل كده معايا ؟.

كنت أنا شخصيا أنتظر أن أسمع رأيه في المجلة، أقصد طبعا مجلة كتب عربية التي كنت أهديتها له الأسبوع الماضي، لكنه بهذه الطريقة التي عاملنا بها، وهو الرجل الحسيس الذي لا تفوته هذه الحركات، فهو ابن بلد أصيل، لذا وجدت أن علي أن امشي،أن أترك المقهى، وكذلك رأي سليمان فياض، فغادرنا ريش وانتقلنا إلي مقهى الحرية، وهات يا شرب.

***

لم تكن مرارتي تتحمل الموقف فغادرت مقهى الحرية قبل أن تميد الأرض بي، ومشيت إلي بيتي، في شارع المبتديان. السيدة زينب.

في اليوم التالي عرفت أن سليمان فياض عاد إلي مقهى ريش، بعد أن مادت به الأرض، وأنه ذهب إلي حلقة نجيب محفوظ مباشرة، وجلس، وكان الحوار يدور حول المجلة، وكل يبدي رأيه، وحين جاء الدور علي نجيب محفوظ، إذا به يمسك المجلة بيد ويشير بالأخرى إلي مقال سليمان فياض، ويقول موجها الكلام إلي سليمان فياض في عينه:

ـ دي بقه قلة أدب.

توتر الجو، خاصة وأن وجه فياض كان قد بدأ يتحول من الأحمر إلي الأزرق، ولولا ستر ربنا، لربما حدثت مواجهة ساخنة، ففياض أيضا كان من الممكن أن يرد، لكن الأرض كانت تميد به وازداد الدوار، لكن الوقت كان قد أزف علي نهاية الندوة، فإذا بنجيب محفوظ يقف ويرفع يديه محييا الجميع:

ـ طيب، سلام عليكو.

انتظر سليمان فياض حتى استرد بعضا من توازنه،وراح يضحك ويقهقه بعلو صوته، وقال وهو يغادر المقهى:

ـ الراجل أتجنن.

***

من ناحيتي ظننت أنني عملت ما يقتضيه الواجب، وضعت صورة محفوظ علي غلاف أول عدد من المجلة، مما لا بد أن يكون له مغزى، وطلبت من كاتب محترم اسمه سليمان فياض، وهو الذي لا يشك أحد في انه رجل صاحب ضمير، كما لا يشك أحد في قدرته علي كتابة نقد محترم وعميق خاصة في مجال الرواية، ولكن للأسف جاءت النتيجة، التي كنت أود أن تكون سعيدة، بنهاية محزنة، لأنني وجدت نجيب محفوظ وقد تغير تجاهي لدرجة انه قاطعني أكثر من ثلاث سنوات لم يوجه لي التحية حين يهل علي المقهى وأكون جالسا، كما كان يفعل سابقا، بل انه تمادي لدرجة أنه لم يرد علي تحيتي حين تجرأت، بعدها بعدة أشهر، وأقبلت علي الحلقة:

ـ سلام عليكم.

لم يرد

بل عمل انه لم يسمع أصلا.

إلي «الخلفان» در، استدرت وغادرت المقهى ولم أعد بعد ذلك إلي الندوة، بل تعمدت ألا أذهب إلي ريش وقت انعقادها، وانتشر الأمر في المحيط، مابين الأتيلييه، وستللا، وفلفلة، وأسترا، وبقية المقاهي والمنتديات الثقافية في وسط البلد، وبقت فضيحة بجلاجل.

من هنا أجد لزاما علي أن أعيد نشر هذه المقالة التي تسببت في زعله إلي هذا الحد، فهذا أيضا جزء من تاريخه، وربما من تاريخنا، أنا وسليمان فياض أيضا، خاصة وأن رد فعله هذا جاء علي عكس ما كنا نتوقع، فقد كانت لدينا ثقة بأنه سيتقبل هذا النقد بما عرفناه عنه كرجل متسامح طوال عمره.

كانت المقالة بعنوان: «حول حضرة المحترم لنجيب محفوظ».

بقلم: سليمان فياض

وهاهي تبدأ:

«الرجال هم الأغلبية في أدب نجيب محفوظ، ذلك أمر غير طبيعي في مجتمع أبوي ومتخلف، ومن يقرأ قصص نجيب محفوظ سيلحظ ثلاث مجموعات رئيسية: عالم الموظفين، وعالم الفتوات، وعالم الدراويش، وبصورة خاصة فإن الموظفين يحتلون أغلب القائمة، وأغلب هؤلاء من الكتبة والإداريين.

وتكاد مشكلات التوظف والوظيفة، والترقي في الدرجات والتنافس عليها أن تحتل جانبا كبيرا من المشكلات القصصية في تجارب نجيب محفوظ، وهذا طبيعي، فنجيب محفوظ ابن القاهرة المركز الرئيسي لموظفي الدولة، وهو نفسه، عمل إثر تخرجه من الجامعة كاتبا في سراديب وزارة الأوقاف، وعمل كموظف مثالي صغير، يضع علي رأسه الطربوش ويزرر جاكتته.

فنجيب محفوظ حين يكتب عن الموظفين، فإنه يكتب عما عاشه، وعاناه، عما يعرفه معرفة حياتية واثقة، يكتب عن معاناته وقلقه.

(٢)

كنب نجيب محفوظ، الأقصوصة، والقصة القصيرة الطويلة، والرواية القصيرة، والرواية الطويلة، وهو يعرف جيدا، من خلال ممارسته لعمله، البناء الفني، والتكنيك التقريبي لكل شكل من أشكال القصة، وروايته القصيرة «حضرة المحترم» تشهد له بهذه المعرفة الواثقة والمقتدرة.

فالرواية القصيرة يقوم بناؤها، علي حالة، أو موقف، أو شخصية، هي محورها البنائي، وكل ما حولها يدور في فلكها لإضاءتها.. وحضرة المحترم تقدم لنا في بنائها المحكم والمصمم بوعي واقتدار، شخصية الموظف «عثمان بيومي» في موقف من مواقف الحصار النفسي، والسلوك العصابي، الثابت والمهووس، هو موقف السعي الحالم، والطموح، إلي بلوغ قمة يرنو إليها كذروة خاصة لحياته وكمعني لتحقيق وجوده في الحياة، ألا وهو منصب المدير العام.

وفي الحدود المرسومة قدم لنا نجيب هذا الموقف من خلال مسيرة الشخصية إلي هدفها، وقدم لنا ما يحيط بهذا الموقف الأساسي العام من مواقف، ولكن الوظيفة كظاهرة اجتماعية تظل

في هذه الرواية، غامضة، ومبهمة، وملقاة في الظل.

وهذه الشخصية الكاريكاتورية التي تقوم علي المبالغة المأساوية تظل نموذجا واحدا يبتعد بنا عن الظاهرة الاجتماعية وعن ردود أفعالها، دون فعل حاسم للنجاة من الوظيفة كصورة من صور العبودية الحديثة.

لقد تغاضي نجيب محفوظ في روايته، عن الوظيفة كظاهرة، وعن حالات من الموظفين، ومواقف غنية كان من الممكن، بمواقف حضورية لا سردية، كما فعل هنا أن يقودنا إلي بناء عالم أكثر رحابة ومستوي أرقي، وحصر نفسه، بروايته القصيرة، في تشريح شخصية عصابية، وشاذة،: كان يمكن أن يحمد له تشريحها، لو اغتنت الشخصية بالمبررات في نسيجها، منذ البداية، لو استبدل لنا سرده التلخيص بالواقف الحضورية، التي يسلم كل منها للآخر، ويضيئه، ويبرره.

(٣)

من المسلم به أن يراعي الروائي رد الفعل النفسي لشخصيته حين تواجه موقفا ما، ولكن من المسلم به أيضا أن يكون رد الفعل مساويا للعمر النفسي والزمني والثقافي لهذه الشخصية.

وعلي سبيل المثال: فحين يقول «سعفان أفندي بسيوني» رئيس المحفوظات، وقد كبر في السن لموظفه الجديد «عثمان بيومي» حامل البكالوريا، وهو دون العشرين من العمر:

ـ أهلا أهلا.. الحياة يمكن تلخيصها في كلمتين: «استقبال ثم توديع». تكون الحكمة مقبولة من الشخصية، وفي مكانها، من خبرة حياة سعفان، وعمره النفسي والزمني، ولكن حين يعلق «عثمان بيومي» وهو دون العشرين، علي هذه الحكمة بقوله لنفسه: «ولكنها رغم ذلك لا نهائية، في حاجة إلي إرادة لا نهائية» يكون التعليق حكمة مراهقة حيال الكون.

إن العبارات، الحكيمة هنا، بالنسبة لعثمان بيومي، تأتي في غير أوانها، ولذلك نتلقاها، بمحض الإدراك الذهني، كمقولة تقريرية ومباشرة وتشعرنا بأنها تدخل من الكاتب، يتجاوز ردود القول والفعل لشخصية عثمان.

لكن هل هي مجرد تدخل من الكاتب، يمكن أن يحسب في عداد الحشو، والزيادة والكليشهات الموروثة !

لماذا لا نقول أن هدف الكاتب من ذلك، أن يفرغ منذ الفصل الأول، من عثمان بتحديد الملامح الفكرية والنفسية لشخصيته، التي ستلقي بظلها علي ردود فعله، ومواقفه، وسلوكه ونهج حياته في الرواية كلها ؟

ولو أن نجيب محفوظ وضع يده علي العقدة الجوهرية في شخصيته، وما يؤدي إليه من طموح طبقي في السلم الاجتماعي، عقدة أن أباه سائق عربة كارو، وأمه دلالة، وأخاه مات في السجن، وأخاه الآخر مات في مظاهرة بأيدي الثوار، ولو انه جعل «العقدة»

هي فكرته عن العالم، وعن الوظيفة، وعن النار المشتعلة في صدره، لتغيرت مطالبته لهذه الشخصية، ورؤيته لعالم الموظفين، بل لتغير بناؤه كله في «حضرة المحترم»، وهي العقدة التي أشار إليها نجيب في روايته، دون أن يبني فوقها وينسج حولها أحداث وشخوص روايته، بل ولفسر لنا روائيا، السر في بخل عثمان، والسر في عزلته، والسر في تقديسه للوظيفة وتأجيله لفرحة حياته كانسان، والسر في كراهيته الضاربة لأحاديث الموظفين عن السياسة وعما يجري حوله في مجتمع صاخب، يضج بالحركة، ويدور حول نفسه، باحثا عن المخرج والخلاص.

(٤)

في ألوان الأدب الدرامية، يخضع الحوار، كوسيلة درامية، للتعبير عن الشخصيات في موقف، للغة خاصة به، هي اللغة الحركية، التي تعبر عن الواقع الفكري والنفسي لكل شخصية علي حدة، إلي الدرجة التي يختلف فيها حوار كل شخصية عن الأخرى، بمقدار اختلاف الشخصيات في التفرد الخاص بها، كعوالم مستقلة بذواتها، كأكوان صغيرة، فريدة، نراها من حولنا دائما، ونري صورها في أعمال الأدباء، والفنانين العظام، يختلف في القاموس اللغوي سواء كانت هذه اللغة عامية، أو فصيحة، ويختلف فيما يعكسه حوار كل شخصية في الوقف الخاص بها،

من مستويات نفسية، وطبقية أيضا، وتلك أمور فنية هي جزء من العمل الدرامي، ووسيلة فنية، للوصول إلي التأثير والإقناع، لكنني لاحظت كثيرا، أن شخصيات نجيب محفوظ، حتى في مرحلة الواقعية، تتكلم بمستويات حوارية واحدة، قد تختلف مواقفها، وعمرها، لكنها تتكلم غالبا بنفس اللغة الراقية، وبنفس المستوي الأسلوبي الرفيع، وبنفس التقارب الفكري والنفسي، وكان الكاتب قد قسم لغته، وقاموسها بين شخوصه، وتحدث لنا نيابة عنهم، دون أن يتقمصها، أو يتلبسها، كما فعل جوجول، وديستويفسكي، وتشيكوف، وشتاينبك، وهمنجواي، ويوسف إدريس، بل انه يفعل ذلك، مع كل الشخصيات بنفس الطريقة، وبنفس المستوي، في مونولوجات هذه الشخصيات، وحواراتها الداخلية: ويمكن لنا أن نبلع ذلك علي مضض في روايات نجيب وأقاصيصه الذهنية في مرحلته التجريدية، مع تحفظنا الشديد حيالها فنيا، لأن الكاتب يضحي فيها بالكثير، لكي يقول لنا آراء وأفكار سياسية، لكنه في «حضرة المحترم» يحاول أن يعود ليصل ما انقطع برواياته الواقعية، وفي هذه العودة يتحرر كثيرا من أسلوبه الفضفاض، وسرده التلخيصي، والتاريخي للمواقف، وللشخصيات، وبتحرر كثيرا من الاستطرادات ومن الحشو والإطناب، في غير مقام أو سياق ولكنه لا يتحرر من ثبات مستويات حوار الشخصيات، وتقاربها حتى أن أية شخصية قادرة

علي أن تقول «كلا» بدلا من أن تقول «لا» نري ذلك في حوارات: عثمان، وحمزة بسيوني، والمدير العام، وسعفان، وأم حسني، وقدرية، وسيدة، وأصيلة، وإحسان، وأنيسه، وراضية.. إلى آخره.

وقد يغفر له هذا التشابه، تشابه أكثر الشخصيات في نوعيتها، كموظفين، ومتعلمين، ولكن يظل مفقودا في الحوار، ذلك التفرد الخاص بكل شخصية، في روحها، وفكرها، ونفسيتها، كما في وجهها وبنيانها الجسدي، وملامحها، وحركتها اليومية.

(٥)

بعض الروائيين الذين قرأت لهم، تبدو تجاربهم أغني وأخصب من قدراتهم الروائية، ولذلك تستمد رواياتهم غناها وخصوبتها من خصوبة تجاربها، وبعضهم تبدو قدرتهم الروائية أكبر من التجارب التي يعالجونها وتبقي رواياتهم شامخة وغزيرة بسبب هذه التجربة، ما طرح منها، وما تستثيره في نفسي كقارئ عن الموظف المصري، وتجربة الموظف في مصر.

و يخيل إليّ أحيانا أن احتفاء السينما والتلفزيون، بقصص كتابنا، قد جني عليهم، وقلل من قدرتهم علي العطاء القصصي الخالص الدءوب والصبور، فقد جعل عينا لهم علي القصة، وعينا أخري علي الشاشة الكبيرة أو الصغيرة، بل جعلهم يروضون بناءهم الفني وسبرهم لأعماق التجربة، ونماذج الشخصيات،

والمواقف القصصية، لإمكانيات الصورة، واخشي أن أقول قولا فيه مصادرة علي الموضوع: «إنهم صاروا يكتبون قصصا سينمائية تيسر للسيناريست والمصور والمخرج عمله»

ولم أشعر قط في «حضرة المحترم» بجو العمل الوظيفي، ورتابته، وتوافهه الصغيرة، وتعليقاته، ومنازعاته، ومجاملاته، حتى المكان والزمان، وهما من «جغرافية» الرواية، كانا غائبين دائما، ولم أفقدهما أبدا في أي رواية عظيمة، قصيرة كانت أو طويلة، ذلك راجع أولا، إلي أن نجيب محفوظ حصر نفسه، وحصرنا معه، في بطله المحاصر، ففقدنا المكان، والزمان، وحيوية الشخصيات، وساد من حول «عثمان بيومي» ذلك الشعور الذي يجعل من عالم الفن الوهمي عالما حقيقيا، يحمل كثافة الحياة، وعنفوانها، عظمتها وحقارتها، جدها وهزلها.

لقد جنت حقا روايات نجيب محفوظ وأقاصيصه التجريدية، طوال ما يقرب من عشرين سنة، علي إمكانياته في العطاء الواقعي، علي نستوي روائي، حين شرع في الانعطاف بروايته «حضرة المحترم» إلي عالمه الروائي الواقعي الأول.

لقد بدت لي مواقف رواية «حضرة المحترم» وانتقالاتها متجاورة في الرواية، بترتيب مرقم ومسلسل، يجعلها، كأنها قصاصات كتبت تحت عناوين ونقاط وعناصر متوالية عدديا، فجاء بناؤها مبوبا، وقد فقد فاعليته الدرامية، وجاءت شخصياتها

كدمي تتحرك حركة باهتة، ما تكاد تظهر حتى تختفي، ومرة أخري تفقد رواية لنجيب محفوظ ديناميكيتها، ومرة أخري أشعر بأن كاتبنا الكبير يتسرع بنشر مسودة روايته، في مشروعها الأول، وتخطيطها البكر، ويفقد علي غير عادتنا معه صبره القديم في الكتابة الروائية لعل روايته القادمة تسترد لنا وله.. ما خسرناه.

***

هذه هي المقالة التي تسببت في غضب نجيب محفوظ لدرجة أنه قاطعني كما قاطع سليمان فياض عدة سنوات، لكن ما أن مرت الأيام حتى نسي الموضوع، وعادت المياه إلي مجاريها.

قصة / ٣

مساهمة الخواجة «دينيس»
في وصول محفوظ إلي العالمية ؟

قصة وصول نجيب محفوظ للفوز بجائزة نوبل عام ١٩٨٨ تبدأ بقصة نقل أعماله، عملا بعد الآخر ، إلي اللغات المقروءة عالميا علي نطاق واسع، وإلا لم يكن ممكنا أن يدخل سباق الجائزة العالمية،لكن كيف بدأت عملية نقل أعماله للغات الأخرى ؟

صديقي وجاري الذي يلقبه أهل عزبة تونس بالخواجة «دينيس»، حكي طرفا من الحكاية.

أقول جاري لأنه يعيش في بيته المجاور لبيتي في العزبة المطلة علي بحيرة قارون (الفيوم)منذ نحو ربع قرن.

حكاها في اليوم التالي لفوز الكاتب الكبير بجائزة نوبل.

دينيس جونسون ديفيز ، كان، كما يظن، أول من ترجم عملا من أعمال نجيب محفوظ للإنجليزية، وواحدا من أوائل الذين عرّفوا به العالم الغربي منذ الأربعينيات والخمسينيات في مجلته «أصوات» التي أصدرها في انجلترا عام ١٩٦٠، ثم في سلسلة

خاصة بالأدب العربي أشرف علي إصدارها، ونشرت لكاتبنا الكبير عدة أعمال عرفه العالم من خلالها.

ما حكاية أول قصة ترجمت لنجيب محفوظ ؟ وكيف كانت معركة البحث عن ناشر في الغرب ؟

قال دينيس:

ـ أنا منفعل جدا جدا، ولا أعرف ماذا أقول. أن يفوز محفوظ بنوبل هذا شيء رائع.

وأضاف:

ـ أنت تعرف أولا أنني أول من ترجم قصة لنجيب محفوظ إلي اللغة الإنجليزية، وأظن أنها كانت أول قصة تنقل له إلي لغة أجنبية، كما أنني أول من نشر مجلة بالأدب العربي الحديث في الغرب هي مجلتي «أصوات» التي أصدرتها علي نفقتي الخاصة عام ١٩٦٠ وتوقفت عام ١٩٦٢، كذلك فإنني أشرفت علي أول سلسلة عالمية متخصصة للأدب العربي في الغرب تصدر عن دار نشر محترمة.. ثم إنك تعرف إيماني الذي لم يتزعزع يوما واحدا بالأدب العربي الحديث، وكافحت من أجله وأجدني الآن في موقف تعزية للنفس بهذه النتيجة العظيمة، وهي فوز أحد الكتاب الذين أحببتهم بجائزة نوبل، وخضت هذه المعركة ـ نعم كانت معركة ـ بصلابة، ولسبب أو آخر، ربما لهذا الإيمان فضلت خوض هذه المعركة، والحمد لله هذه هي النتيجة، ثم أنني فرح

ومسرور و«مزقطط» (يقولها بالعامية المصرية) زي أم العروسة، لأن فوز محفوظ بالجائزة قد عوضني معنويا عن هذا الكفاح.

- ٢ -

لنعد قليلا للوراء، لقد تعرفت علي الأدب العربي قبل مجيئي إلي مصر عام ١٩٤٥ م، حيث درست في جامعتي لندن وكمبريدج في قسم الدراسات الشرقية اللغتين العربية والفارسية، ثم عملت بالقسم العربي بالإذاعة البريطانية، ولاحت لي فرصة لأتقن العامية المصرية بين عدد من من المصريين عشت بينهم بعض الوقت، ثم لاحت لي فرصة ثانية لأعمل مدرسا للغة الإنجليزية في جامعة «فؤاد الأول» فبادرت بالمجيء إلي هنا، وكان أول ما فعلت أن بدأت البحث للتعرف علي الأدب الحديث، لأننا عندما درسنا في إنجلترا كانت الدراسة للأدب القديم والتراث القديم، وبالفعل تعرفت أولا بالأعمال المنشورة في الصحف والمجلات، وبعض الكتب، ثم تعرفت علي الأدباء أنفسهم، تعرفت أولا بمحمود تيمور، ثم يحي حقي ولويس عوض ونجيب محفوظ، وغيرهم، كما تعرفت علي طه حسين أيضا وكنت أتردد علي صالونه، وقد أعجبت بالفعل بأعمال تيمور وحقي ومحفوظ والسحار ومحمود البدوي وبشر فارس، وبدأت التفكير بترجمة أعمالهم، وكان تيمور أشهرهم في ذلك الوقت الذي اخترت له مجموعة قصص قمت بترجمتها بموافقته،واندفعت لطباعتها

في دار النهضة علي نفقتي الخاصة، ولم يعرف بالأمر إلا بعد أن صدرت المجموعة وحملت له نسخة هدية منها وكان هذا عام ١٩٤٧ م، وقد أحس بتقدير شديد لهذا المجهود، لذلك فقد عوضني ماليا عن الطباعة وكان رجلا مقتدرا وكنت مجرد مدرس لا دخل لي سوي وظيفتي، وقد شجعني هذا جدا، خاصة وأن المجموعة صدرت دون تدخل منه، ثم رحت أنتقي من هنا وهناك مجموعة أخري وعثرت علي قصة قصيرة لنجيب محفوظ اسمها «نحن رجال» وترجمتها ونشرتها في جريدة «الأجيبشان جازيت» المصرية عام ١٩٤٨، وأعتقد أنها أول قصة تترجم للغة الإنجليزية لنجيب محفوظ علي الإطلاق، ثم اخترت له قصة أخري هي «زعبلاوي» وضممتها لأول مجموعة قصص مشتركة، أعددتها للنشر، ولكنني لم أكن راغبا في تكرار مسألة النشر هنا في مصر، لإيماني الذي بدأ يقوي بضرورة أن ينشر الأدب العربي الحديث في الغرب وليس هنا، لأنه لن يكون حينئذ ذا تأثير، وبالفعل سافرت عام ١٩٤٩ إلي إنجلترا وبدأت رحلة بحث مضنية أدق أبواب دور النشر فلم يستجب لدعوتي أي ناشر إنجليزي.

-٣-

أعتقد أن ذلك يعود إلي عدة أسباب:

أولها: أن المستشرقين، أو أغلبهم علي الأرجح، كانوا قد

أشاعوا أن الأدب العربي الحديث لا قيمة له، إلا تصوير المجتمع، وإنما القيمة فقط للأدب القديم وخاصة الشعر وبعض الأعمال الكلاسيكية خصوصا ألف ليلة وليلة، ثم إن سمعة العرب نتيجة للصراع من أجل الاستقلال من ناحية والتشويه الحادث لهم في الإعلام الإنجليزي من ناحية ثانية، كل ذلك لم يشجع الناشرين الإنجليز.

علي العموم كان هناك اعتقاد يسود بأنه لا يوجد لدي العرب أدب حديث بعكس ما وجدت أنا شخصيا من بوادر مشجعة تدل علي أن هناك مستقبلا أكيدا للأدب العربي الحديث وهو ما دللت عليه بنشاطي سواء كمترجم أو قارئ أو ناشر لمجلة «أصوات» أو مشرف علي سلسلة «مؤلفون عرب».

ـ ٤ـ

بعد أن يئست من دور النشر العادية ذهبت إلي مطبوعات جامعة أكسفورد التي كانت مهتمة بالإستشراق، و التقيت بأحد الموظفين في دار جامعة أكسفورد وعرضت فكرة نشر مجموعة القصص فرفض أولا، ثم بعد وقت عاد إليّ وقال إنه سيقرأ المجموعة ويفكر في الأمر، ثم جاء مرة ثالثة وقال إنه علي استعداد لنشر المجموعة لكن بشرط أن يدخلها في إطار «عمل إستشراقي» فقلت له إنها ليست عملا إستشراقيا ولكنها ترجمة وتعريف بالأدب العربي الحديث، فقال إنه سيقبلها لو

كلفت مستشرقا من الأسماء الكبيرة بتقديمها بدراسة، حتى يكون هناك مبرر لنشرها في مطبوعات الجامعة، وعلي الرغم من ضيقي وافقت وذهبت للبروفيسور «أوربري» وكان واحدا من أشهر المستشرقين في الغرب فوافق علي الرغم من مرضه وعدم اهتمامه بالأدب الحديث، وكتب المقدمة وصدرت المجموعة، لكن هذا الموضوع استغرق مني ١٨ عاما، إذ أنني ترجمتها عام ١٩٤٩م ولم تصدر إلا عام ١٩٦٧، ثم نشرت «يا طالع الشجرة» في جامعة أكسفورد أيضا، في سلسلة موجهة للقراء في إفريقيا.

- ٥ -

كانت تجربتي في مجلة «أصوات» أيضا نوعا من المغامرة، إذ أنني لم أستطع الاستمرار في الخسائر المتلاحقة، كما أنها كانت المجلة الوحيدة في وقتها في إنجلترا علي الأقل التي تنشر الأدب العربي الحديث، وتعرف به، لكنني أصدرت منها عشرة أعداد ثم توقفت، وكان أن انتقل «جيمس كاريه» من العمل في مطبوعات أكسفورد إلي العمل في مطبوعات «هاينمان»، القسم التعليمي، واقترح أن أتعاون معه بإدخال الأدب المصري بالذات ضمن سلسلة قائمة بالفعل في هذه الدار تنشر الأدب الإفريقي، وكان هذا يضايقني، وقد عبر توفيق الحكيم نفسه عن هذا الضيق حين نشرت له «مصير صرصار» عام ١٩٧٠ م في هذه السلسلة، ثم اضطررت أيضا لنشر ترجمات أخري مشتركة كان لنجيب

محفوظ بينها قصة هي «الحاوي سرق الطبق» في نفس السلسلة، كما ترجمت ونشرت فيها أيضا أعمالا أدبية «للطيب صالح» وصنع الله إبراهيم، ثم، ومن خلال مناقشات مضنية ـ اقتنعت «دار هاينمان» بتخصيص سلسلة أسميناها «مؤلفون عرب» عام ١٩٧٢ م وكلفت بالإشراف عليها من ناحية اختيار النصوص والمترجمين والتأكد من دقة الترجمة، لأنه في تقديري لا يكفي أن يعرف المترجم اللغة العربية لكي تأتي ترجمته جيدة، ولكن لابد أن يكون من أبناء اللغة نفسها، وأن يعرف العربية معرفة جيدة، وأن يكون علي اتصال بالكتّاب، لأننا أحيانا نجد أخطاء كبيرة جدا في النصوص المطبوعة بالعربية، مرة مثلا حين كنت أترجم «الحاوي سرق الطبق» وجدت جملة غير مفهومة لي بالمرة، وحين عرضت الأمر علي محفوظ في احدي زياراتي له في القاهرة قرأ الجملة فوجد أن هناك سطرا كاملا ناقصا من النص، إذن لابد أن تتوفر هذه الشروط جميعها لتكون الترجمة دقيقة وأمينة خاصة أنني كنت أضع في اعتباري أن أقدم العالم العربي من خلال هذه السلسلة لأن الذين يعرفون العربية في اللغات الأخرى قليلون، وبالفعل اتصل بي كثير من المترجمين الذين كانوا ينقلون الأعمال العربية إلي اللغات الأخرى كاليابانية والصينية والفرنسية ليستأذنوا في الاستعانة بترجمات السلسلة مما يدل علي أنهم كانوا يعتدون عليها، أغلبهم علي الأقل،

ولكن مع الأسف ـ توقفت السلسلة علي الرغم من أنني بذلت مجهودات كثيرة من أجل إنقاذها.

- ٦ -

لكن الصورة تغيرت الآن بعد نوبل، وأضحي الأدب العربي الحديث، ربما بفضل هذه الجائزة مثار اهتمام واسع، وبدأت حركة ترجمة كبيرة للأدب العربي الحديث.

أنا إذن سعيد و «مزغطط».

قصة / ٤

كيف كان يجور علي رواياته من أجل السينما

لن تتوه طويلا لتقرأ معني هذا الموقف في صياغات عديدة، خاصة في أحاديث الكاتب الكبير المتعددة.

تأتي صياغة هذا الموقف محددة وواضحة كما في معني قوله: «السينما فن آخر غير الرواية، لذا فإنني أعطي الحرية الكاملة للسيناريست والمخرج ، ليفعلا ما يشاءا بروايتي»[١]

كما ستجده يعبر عن موقفه هذا بعبارات متنوعة، كمن يتلذذ بتكراره، وبروح من اليقين الذي يجعل من الموقف السلبي من وجهة كاتب روائي أحمق مثل كاتب هذه السطور، موقفا إيجابيا ومتناسقا مع سلوك كامل ينبني علي ما يشبه النظرية، كما ينبني علي خبرات الكاتب الروائي الذي أضحي، أحب أم كره، حامل عبء إنشاء المكتبة الروائية العربية الأولي، وقد تجلت هذه الخبرات عبر عدة حقائق، بعضها يخصه شخصيا، والبعض الآخر يتعلق بالمجتمع الذي كان لا يزال ينظر بعين الريبة لهذا الشكل المستحدث في الأدب العربي، نعني شكل الرواية / القصة، أو ما كان معممو الزمن الماضي يسمونه التشخيص علي

الورق، وحرّموه، كشكل، بل خاضوا ضده معركة بالنبابيت، في قلب القاهرة، حين أصدر محمد حسين هيكل روايته «زينب» مسلسلة علي صفحات جريدة السياسة التي كان يصدرها لطفي السيد ويرئس تحريرها طه حسين.

كان كاتبنا ومنذ شبابه يعرف انه يمارس شكلا مرفوضا من هذا المجتمع المحافظ، ولكنه كان يري أيضا أن آخرين يخوضون معارك مماثلة علي صعيد الشكل، فهناك كانت معركة مدرسة الشعر الحديث مع الشعر الكلاسيكي، وهناك كانت معركة أشمل دارت حول فكرة التقليد والتجديد، وسميت في صياغة أخري معركة الأصالة والمعاصرة، وكانت قد سميت منذ زمن سحيق معركة الأتباع والإبداع.

كما كان علي وعي كامل بأنه وحيد، وأنه يعيش في ظل الحقائق التالية:

ـ لم يكن يستند في حياته إلي مال أو ثروة، ولم يكن أمامه إلا وظيفته الحكومية ليعيش منها، هو وأفراد أسرته، بل ليصرف منها علي الرواية نفسها كما صرح بشكل واضح، بل انه حين عمل بمهنة كتابة السيناريو كان هدفه الأساسي هو الاستفادة المادية، يقول: «لا أنكر أنني استفدت ماديا من السينما، بل كنت أستغل عائدها المادي من كتابة السيناريوهات في الإنفاق علي الأدب، ولكنني في المقابل دفعت من دمي وأعصابي ووقتي، ولم أشعر

براحة في تعاملي مع السينمائيين، فكم من مهازل ارتكبت باسم الفن ورأيتها بعيني، ولم أكن أفرض شروطا في التعامل مع المنتجين والمخرجين طوال فترة كتابتي لسيناريوهات الأفلام، لأنني أفهم اللعبة جيدا، وكنت أضع كل جهدي في كتابة السيناريو، وأترك لهم حرية اختيار الممثلين، ولا أتدخل إلا إذا طلب مني المنتجون ذلك».

ـ علي الرغم من ميوله الوفدية، التي تبدو واضحة وحماسية، خاصة في أحاديثه، فإنه وعلي حد كل ما قرأناه له من تصريحات وأعمال، لم يكن منتميا حقيقة لأي حزب أو جماعة يستند إليها في حياته أو عمله، يقول: «من أجل الأدب ابتعدت عن العمل السياسي، فلم أنضم إلي حزب أو تنظيم سياسي لا قبل الثورة أو بعدها، لقد كنت من أنصار حزب الوفد، بل من عشاقه، ولا يقل ولائي له عن ولاء أي زعيم من زعمائه، كما لم تجر أي انتخابات برلمانية إلا واشتركت فيها بصوتي لصالح الوفد، كما لم تقم مظاهرة مؤيدة له وأتيحت لي الفرصة للمشاركة فيها وأنا شاب إلا وفعلت ذلك، ومع هذا كله لم أنضم إلي لجنة من لجان الحزب، ولم تكن هناك أي صلة رسمية تربطني به»[٢].

ـ كما لم يستند أو يطلع، وهذا هو الأهم، في ظل حركة نقدية منصفة وخلاقة وعادلة، بل ظل أعواما طويلة وهو يكتب ويواصل الكتابة بلا كلل أو ملل، وليس من النقاد من يلتفت أو ينصت حتى

كتب عنه سيد قطب (ويا للمفارقة فتلامذة هذا الأخير هم من طعنوه في رقبته بقصد قتله) أول مقال عنه في نهاية الأربعينيات، وهو الذي نشر أول أعماله القصصية في العام ١٩٣٦ كما صرح مرارا.

ـ قبل الثورة (١٩٥٢)كان يعرف أن أغلب منابر النشر تابعة لتيارات سياسية أو جماعات أدبية أو فكرية، كما كان يعرف أنه وبعد الثورة أضحت المنابر كلها (بما فيها الإنتاج السينمائي) في يد السلطة، وهو لم يكن مع أو ضمن أي من هذه التيارات والقوي، لذا فإنه وفي كلتا الحالتين، كان لابد، ليمضي في طريقه بسلام، أن يضع نفسه في موقف «المحايد»، بين التيارات السياسية و الفكرية والأدبية والحزبية، لذا فإنه لم يصل به الأمر أبدا إلي درجة الصدام مع أي من هذه التيارات القديمة، أو السلطة الجديدة، وظل نقده في كل الأحوال، ذلك النقد «العاقل» الذي يمشي صاحبه علي الحبل (ويا للهول) دون أن يسقط، وإن كان هذا لم يعفه من أن يجد نفسه، خاصة إثر روايته «أولاد حارتنا» في مكانة المرفوض، بل والكافر، من تيارات اجتماعية متطرفة، أو من أفراد من «رجال الدين» في السلطة وخارجها.

صاحب هذه الشخصية إذن لابد أن يجد لنفسه طريقة آمنة، ذكية، في التواجد علي المستوي الجماهيري، وهو ما وجده في السينما، فقرر اعتبارها مجال تواجده الجماهيري العريض،

خاصة وهو يعرف أن أعداد القراء مهما كان موقع الكاتب الأدبي، لا تتجاوز الآلاف، وهو يريد الوصول للملايين، وهو حق أصيل لأي كاتب، حتى وإن جاء هذا علي حساب العمل الأدبي، بقبول التنازلات التي يفرضها الإنتاج السينمائي المتخلف، كما يقول هو نفسه، لنقرأ:

«والحقيقة أن كلمة «الإنتاج السينمائي» التي تحمل معني ماديا عندنا، تجدها تحمل معني مغايرا في السينما العالمية، فمعناها هناك أقرب إلي الفن والتذوق، ولذلك تجد في السينما العالمية أعمالا رفيعة من الناحية الفنية وهي أيضا ناجحة تجاريا، وحتى في التجارب الجديدة التي لا يتوقع أحد أن يقبل عليها الجمهور، تجد أن هناك جمعيات فنية تدعمها وتقف وراءها، وهذا الدعم للفن الرفيع ليس مقصورا علي السينما، وإنما يمتد إلي مجال الأدب. ففي أغلب البلدان الأوربية تجد نوادي أدبية تدعم دور النشر التي تصدر أعمالا رفيعة المستوي فنيا وغير مضمونة التوزيع.. وعندما توليت مسئولية مؤسسة دعم السينما حاولت تقديم أكبر دعم للأعمال الرفيعة، وفي فترة رئاستي لها أنتجنا عددا من الأعمال الجيدة علي رأسها فيلم «المومياء» (لشادي عبد السلام) الذي ما كان ليري النور لولا دعم المؤسسة، فقد عرض عليّ الدكتور ثروت عكاشة سيناريو «المومياء» طالبا إبداء الرأي في مسألة إنتاجه، وعندما قرأته وجدت فيه عملا رائعا

يجب أن ينفذ فورا، وحدث ما توقعت، حيث حقق نجاحا فنيا هائلا، ولكنه أخفق جماهيريا».[٣]

ولأنه هو شخصيا كان يهدف إلي الوصول للجماهير، كما أسلفنا، من خلال السينما ارتضي سلوكا لم يحد عنه:

ـ أن يقبل أي اعتداء علي عمله الروائي (إلي حد تغيير أدوار الشخصيات في بعض الأعمال، أو تغيير العلاقات الداخلية بينها في أعمال أخري) في سبيل تحويله إلي عمل سينمائي، كما انه ظل يقبل أي مقابل مادي عند تحويل رواياته للسينما.

وفي هذا السياق هناك حادثتين، فقد روي لي الصديق الكاتب الصحفي المعروف حازم هاشم أن أحد المنتجين العرب طلب منه تقديمه للكاتب الكبير ليشتري منه حق إنتاج إحدى قصصه في منتصف الثمانينيات لينتجها في فيلم تلفزيوني، ولأن نجيب كان يقضي عطلته السنوية في الإسكندرية سافر الاثنان إلي هناك والتقيا به، يقول الصديق أن المنتج قدم العقد لنجيب محفوظ وترك خانة «المبلغ» فارغة ففوجئ به يكتب ثلاثة آلاف جنيه، في الوقت الذي كان المنتج عل استعداد ليدفع عشرة آلاف جنيه، وحين أبدي الصديق، بعدها استغرابه لنجيب محفوظ، قال الكاتب الكبير:

ـ المهم أن ينتجها فعلا.

كما أصبحت حادثة الحرافيش علي كل لسان في الوسط

الفني، حيث اشترتها شركة إنتاج مصرية معروفة بثلاثة آلاف جنيه وباعتها مجزأة بعشرات الألوف.

وإذا كان من الممكن القول بأن العائد المادي قد لا تكون له أهمية في الظروف الإنتاجية في السينما المصرية إلا أننا، وهو الأهم، لم نسمع قط بتمسك كاتبنا الكبير، بشروط إنتاج محددة ليضمن مستوي فنيا يليق به وبعمله، الأمر الذي ما أن تمسك به صنع الله إبراهيم حين عرض عليه أحد المنتجين تحويل رواية «اللجنة» إلي فيلم سينمائي حتى أبدي المنتج استغرابه من هذا المؤلف الذي يود ضمان شروط إنتاج معتبرة لعمله الفني، وخسر صنع الله فيلما كان من الممكن أن يفتح له طريقا جماهيريا عريضا.

هذا التمسك بحق الظروف الإنتاجية الجيدة كشرط لتحقيق عمل فني راق، يعتبره كاتبنا الكبير تشددا (من قبيل العيب) الذي يأخذه، مثلا، علي صديق عمره المخرج الكبير توفيق صالح، يقول:

«كان من المفروض أن يقوم توفيق صالح بإخراج «الثلاثية» بعد أن أسند إليه صلاح أبو سيف مهمة إخراجها عندما كان رئيسا لشركة السينما.. وبدأ توفيق صالح في التحضير للجزء الأول، وفجأة اختلف مع صلاح أبو سيف (بالقطع حول شروط الإنتاج) ووقعت بينهما مشادة عنيفة، ترك علي إثرها الفيلم، فأسندوه إلي

حسن الإمام. إن المشكلة الأساسية عند توفيق صالح، أو قل عيبه الأساسي هو التشدد، ولا يختلف اثنان في مصر علي موهبته وقدرته الفنية وثقافته، وأنا أعتبر أفلامه علي قلتها من أفضل الأفلام في تاريخ السينما المصرية، ولكن تشدده وتدخله في كل صغيرة وكبيرة وشروطه الصعبة التي يفرضها، أضاعت عليه فرصا كثيرة، وجعلت المنتجين والنجوم يهربون من العمل معه، وبعد عودة توفيق صالح من سفره الطويل نصحته بتغيير سلوكه هذا وأن يحاول التأقلم مع الظروف الجديدة التي تحكم حال السينما الآن، ولكنه ما زال مصرا علي أسلوبه وسلوكه القديم»[٤].

وعلي الرغم من أننا لم نقرأ لكاتبنا الكبير رأيا غاضبا عن ما جري لأعماله في سياق وضعها في ظروف إنتاجية تفقدها الكثير من «قيمتها الأدبية» إلا أننا نقرأ له اعترافا هاما في هذا السياق، وإن لم يكن أكثر من مجرد اعتراف جاء بعد وقته بسنوات طوال تزيد عن ربع قرن وهو ما يخص رواية ميرامار وما جري لها. يقول:

«ربما تكون رواية «ميرامار»... تعرضت لبعض التغييرات عند تحويلها لفيلم سينمائي، حيث ركز الفيلم علي شخصية «طلبة بك» التي جسدها يوسف وهبي، وهي شخصية خفيفة الظل وقريبة من المزاج الشعبي. هذا التركيز قدم الشخصية في صورة تقلب الهدف الذي قصدته منها رأسا علي عقب، ففي الرواية حاولت تقديم هذه الشخصية في صورة رجعية مكروهة،

أما الفيلم فقد حولها إلي شخصية محبوبة، فتحولت بذلك إلي وسيلة دعاية للرجعية، وساعد علي ذلك الأداء البارع للفنان الكبير يوسف وهبي..»

أما عن ما جري للثلاثية فيقول بأسلوبه الرقيق:

« ورغم أن حسن الإمام ألتزم «إلي حد ما» بروح النصوص التي قدمها لي في السينما وهي «الثلاثية» و«زقاق المدق» إلا انه أخضعها لمدرسته التي تميل إلي الإثارة الحسية والميلودراما، حتى بدا السيد أحمد عبد الجواد بطل «الثلاثية» وكأنه شخص لا هم له سوى «العوالم» والمتعة الجسدية، وربما كان لنشأة حسن الإمام في جو العوالم بمدينة المنصورة حيث ولد، ثم عمله في مطلع حياته بالقاهرة في «صالات» عماد الدين أثر كبير في الأسلوب الذي سار عليه عندما عمل بالإخراج السينمائي، دخل حسن الإمام السينما وهو ممتلئ بالحس «البلدي» وهو شيء آخر غير الحس الشعبي».(٥)

وهنا لا بد أن يتساءل القارئ عن معني ما يقصده كاتبنا الكبير بعبارة «ألتزم إلي حد ما»، أليس في هذا مجاملة تصل إلي حد الموافقة علي ما قام به حسن الأمام، أو قل اعتراض خفيف يؤدي في النهاية إلي ضرر كبير يصيب هذا العمل الكبير، علي الأقل لأن القارئ، سيتأثر بما جاء في الفيلم، وبالتالي يفهم الثلاثية فهما ملتبسا.

في مفهوم شخص أحمق مثل كاتب هذه السطور، ليس هناك «التزام إلي حد ما» فالالتزام مثل شرف البنت لا يتجزأ، فهي إما أن تكون شريفة أو لا، فليس هناك شيء اسمه «نصف شريفة» أو شريفة إلي حد ما.

أقول ذلك لأنني مؤخرا وجدت نفسي في موقف صعب أمام أحد المنتجين،حين أردت فرض شرط أن أوافق علي السيناريو المأخوذ عن إحدى رواياتي فإذا به يسوق سلوك نجيب محفوظ كحجة له عليّ، واعتبرني شخصا أحمق ورمي في وجهي هذه العبارة: إذا كان نجيب محفوظ وهو الفائز بجائزة نوبل لم يفرض في حياته هذا الشرط فهل تريد مني أن أقبله منك وأنت حتى لم تفز بجائزة البعكوكة ؟

ووضع العقد والمبلغ الذي كنت أتمناهما بشوق في جيبه وغادر المكان وهو في غاية الاشمئزاز.

لقد رضي كاتبنا الكبير بما حققته له السينما من جماهيرية عريضة، ويمكننا أن نقول أنه قد نجح في ذلك وحقق ما لم يحققه غيره، لكن هذا، ومع كل احترامنا، قد حد من حرية أعماله الروائية لتكون كما هي عليه، وهي التي تبلغ مرتبة تستحق علي الأقل أن نكون أمناء عليها حتى النهاية.

(١) يمكنك أن تجد هذا المعني في الكثير من الحوارات والمقالات، مع الكاتب الكبير وعنه، أنظر مثلا العدد الخاص عنه من مجلة المصور، مقالة عبد النور خليل «نجيب محفوظ وأثره في واقعية السينما المصرية» ص ٥٤ العدد الصادر في ٢١ أكتوبر ١٩٨٨، كما يمكنك أن تجد قائمة هامة بحواراته في كتاب أتحدث إليكم التي جمعها وقدم لها صبري حافظ ـ دار العودة ـ بيروت ـ ١٩٧٧ م.

(٢) إنظر ص ١٢٨ من كتاب رجاء النقاش «نجيب محفوظ، صفحات من مذكراته وأضواء جديدة علي أدبه وحياته»، مؤسسة الأهرام، ١٩٩٨ م.

(٣) كتاب النقاش المذكور ص ١٢٢.

(٤) كتاب النقاش ص ١٢١

(٥) كتاب النقاش ص ١٢١.

قصة / ٥

اللحظات الأولي لفوزه بالجائزة
وكيف قمت بتلخيص أعماله في ست ساعات.

في نحو الساعة الثانية من ظهر يوم الخميس الموافق السادس عشر من أكتوبر عام ١٩٨٨، اتصل بي صديقي عمري الكاتب الصحفي «أسامة الغزولي» من لندن (وكان يعمل مديرا لتحرير مجلة سيدتي) وما أن أمسكت بالسماعة حتى طلب مني أن أحضر ورقة وقلما، فأحضرتهما فأملاني طلبا غريبا جعل شعر رأسي يقف، قال:

ـ أريدك أن تكتب لي ملخصات قصيرة لكل أعمال محفوظ الستة والأربعين، وأن تسلمها علي الفور إلي مكتبنا في القاهرة، أريدها خلال ثلاث ساعات علي الأكثر، أريدها اليوم، وبسرعة.

وقبل أن أستفسر منه عن هذا الطلب الغريب، وإمكانية تنفيذه، سألت وأنا أكاد أبكي:

ـ ليه ؟ هوا الراجل مات ؟

ـ مات إيه، دا فاز بنوبل ؟

الحقيقة أن هذا ما خطر ببالي، لأن مسألة فوز نجيب محفوظ بنوبل لم تكن أمرا مطروحا علي الإطلاق في ذهن أي شخص (حتى نجيب محفوظ نفسه).

ـ فاز بنوبل ؟ يا راجل انتا بتهزر ؟

ـ الخبر مؤكد، انتا مسمعتش لسه ؟

الحقيقة أنني كنت وفريق العمل في مجلة المصور في عطلتنا الأسبوعية، لذا كنت في بيتي حتي هذا الوقت المتأخر من اليوم، وكنت أعرف طبعا أن رئيس تحريري مكرم محمد أحمد في بيته، فما أن وضعت سماعة التليفون حتى قمت بالاتصال به فإذا به يبلغني بأن رئاسة الجمهورية قد اتصلت به وأبلغته الخبر وسألني:

ـ أين أنت الآن ؟

قلت: في بيتي في المهندسين.

قال: عظيم، أنت إذا أقرب واحد منا إليه، أذهب إلي بيته في العجوزة.

وكنت أعرف طبعا واجبي في مثل هذه الحال، اتصلت بالمجلة ليرسلوا مصورا إلي بيت نجيب محفوظ، وفي دقائق كنت أنزل من التاكسي أمام باب الرجل الكبير، فوجئت بأنه لا صخب ولا أصوات هناك (لا أعرف لم تصورت أنني سأجد نساء مولولات علي العتبة) بل كان كل شيء هادىء علي السلم، لكنني وجدت باب شقة نجيب محفوظ مفتوحا، طرقت بأصابعي بكل

احترام، لم يأتني أي رد، لكنني ما أن برزت برأسي إلي الداخل حتى وجدت سيدة محجبة وعلي وجهها فرحة غامرة (لم أرها في حياتي علي أي وجه) افترضت أنها زوجة الرجل الكبير، قالت:

ـ أيوه، أتفضل.

اقشعر بدني وأنا أمد يدي لأطبق بهما علي يديها (بل فكرت في احتضانها لو كان هذا ممكنا)

قالت:

ـ هو في الداخل (وبفخر) مع السفير السويدي.

دخلت فإذا بالرجل الكبير جالس علي الأريكة وبجواره السفير السويدي ومعهما شخصان، ما أن لمحني حتي هب واقفا وزعق:

ـ شلة ريش فازت بنوبل ؟

طبعا، فمقهيي ريش كان المكان الذي كنا نلتقي فيه بالرجل الكبير مساء كل يوم جمعة، عرفني هناك وكنت أحد رواد ندوته الأسبوعية لسنوات.

وما هي إلا لحظات حتى بدأت جحافل الصحفيين والمصورين تفد علي الشقة الصغيرة، ولم يكن التليفون يكف عن الرنين والسيدة عطية الله إبراهيم (زوجته) ترد علي المهنئين وتسلم الرجل الكبير السماعة، ثم تختفي للحظات وتعود بأكواب الشربات توزعها علي الوافدين، وهي تكاد تترنح من

هول المفاجأة، اقترحت عليها أن أرد علي التليفون تخفيفا عنها، وهكذا كنت من تلقي تليفون يوسف إدريس:

ـ ألو مين ؟

ـ أنا يوسف إدريس ؟

ـ أهلا إزيك، مبروك.

ـ أيوه مين ؟

ـ أنا عبده جبير.

ـ يخرب بيتك انتا يا يبني هنا برضه ؟

قلت: طبعا، أهو معاك.

وسلمت سماعة التليفون للرجل الكبير الذي هز رأسه مستفسرا فأخبرته بأنه يوسف إدريس، فلمحت ابتسامة (لها معني خاص بالنسبة لواحد مثلي) كما لمحته يرتفع بصوته كما لم أسمعه يتحدث في مرة سابقة.

ـ شكرا. شكرا، عقبالك.

بعدها بلحظات جاءت مكالمة يحى حقي، وأشهد أن الرجل الكبير (وربما يذكر زميلنا العزيز يوسف القعيد الذي حضر هذه المكالمة) انه قال:

ـ الحقيقة انك أنت كنت تستحقها أكثر مني.

ثم جاءت عدة مكالمات أخري، واختلط الحابل بالنابل، فلمحت السيدة الكبيرة وقد أعياها التعب من تقديم الشربات

الذي أصرت عليه علي الرغم من أن أحدا لم يكن يطلبه، فاقترحت علي الزميلات الصحفيات اللواتي تواجدن في هذه الساعة مساعدتها، وهكذا دخلنا المطبخ ووزعنا المسئوليات علينا، تبرعت جيهان العلايلي (عملت في البي بي سي بعد ذلك) بغسل الأكواب، وتبرعت أنا بتقديم الشربات والأخريات بلملمة الأكواب، فقد كنا جميعا نحس بأن هذا بيتنا، وأننا أبناء الرجل الكبير الذي انتزع لنا جائزة نوبل من فم أسد العالم، لكنني سألت السيدة الحيرانة:

ـ ومال فين البنات ؟

قالت:

ـ في الشغل، كلمتهم، جايين.

ثم جري المشهد التالي:

نجيب محفوظ يتسلل من بين الخلق المتزاحمين (وكان لا يزال يرتدي الروب دى شامبر علي بيجامة النوم) واختفي في الداخل، ظننت انه ذهب لقضاء حاجته (أو من هذا القبيل) لكنني فوجئت بأنه ذهب لقضاء قيلولته التي حان وقتها (بالدقيقة والثانية فمشي ليفعلها وكأنه منوم بالوقت) علي الرغم من أن المكان كان قد أكتظ عن آخره بالخلق.

ثم كانت المفاجأة: نجيب محفوظ يصفق بيديه من الداخل، والسيدة زوجته تترك ما في يدها وتركض كالملسوعة تستجيب

للتصفيق بما يشبه الخوف (أو لنقل الحرص)، ثم تعود وتلملم الجرائد التي كان الزوار قد عبثوا بها وتحاول طيها بترتيب. تدخل بها إليه وتعود وعلي وجهها علامات الكدر، فهمت أن هذا هو موعده لتصفح الجرائد حتى يغفو كعادته وهو يتصفحها، حانت الفرصة لي لأسألها (تعليقا علي التصفيق):

ـ هوا كده علي طول ؟

بابتسامة خجلي هزت رأسها.

قلت:

ـ يعني هوا في الحقيقة سي السيد ؟

لم ترد، لكنني تماديت في السؤال:

ـ يعني هوا مكانش بيفسحكوا مثلا ؟

ـ يفسحنا ؟ آه. احنا خرجنا مرتين مع بعض.

ـ طوال العمر ؟ يعني كان بيفسحكو برضو.

ـ المرة الأولي يوم وفاة أمه، والمرة الثانية يوم وفاة أمي.

تأكدت إذن من انه سي السيد، وأحسست بفخر بأن رجلنا الكبير كان قد نجح طوال عمره بأن لا يشغله شيء عن عمله الأساسي: أن يكتب وأن ينشغل بكتابته، وأن لا يدع شيئا يشغله عنه حتى ولو كانت فسحة لأهله، وأنه لم يرتكب ذلك الخطأ الذي ارتكبناه جميعا وضيعنا عمرنا في الخروج إلي الملاهي مع صغارنا، وأنه لو لم يكن قد اختط هذا النظام الصارم لحياته لما

كتب كل هذه الكتب، ولم يكن قد فاز بجائزة نوبل، أو أي جائزة أخرى، خاصة وأنه كان مطالبا بأن يوفر لأسرته راتبا شهريا يقيها العوز، وأن أعماله الست والأربعين حتى ذلك الوقت لم تكن تدر عليه من المال ما يكفيه ليكون لديه فسحة ليخرج فيها مع زوجته وابنتيه ليتسكع معهن في الحدائق، الأمر الذي أظن أنه كان يتوق إليه كأي أب حنون، لكن ظروفنا البشعة في هذا العالم الثالث لا تمكن كاتبا كبيرا مثل نجيب محفوظ سوي أن يقسو علي نفسه ليستمر في عمله، وإلا أكله الذئب، فأي قسوة مارسها هو أيضا علي نفسه، كما مارسها علي أعز الناس إليه، ليكون هذا الكاتب المنتج، والذي لم يكف عن الإنتاج حتى آخر لمحة ضوء في عينيه ؟.

***

وأنا هنا أحس بأن المجهود الذي بذلته، في تلخيص أعماله الكاملة (حتى ذلك الوقت) هو مجهود غريب، يستحق التأمل، فكيف يمكن أن يقوم أي شخص بتلخيص ٤٦ كتابا في ظرف ٦ ساعات، إلا أن يكون مغامرا،إن لم نقل مقامرا، من هنا يمكن اعتبار هذه الحصيلة «وثيقة» قد تفيد، باحثا، أو صحفيا، أو مجرد قارئ ملول.

الوثيقة:
«الدليل الكامل لأعمال نجيب محفوظ»

في العام الذي كتبت فيه هذه الوثيقة كانت أعمال كاتبنا الكبير المنشورة في كتب قد بلغت ٤٨ كتابا* بين رواية ومجموعة قصص ومسرحية، علاوة علي كتاب ترجمه عن اللغة الانجليزية وهو من تأليف «جيمس بيكي» عام ١٩٣٢، بالإضافة إلي ٤٧ مقالا وقصة قصيرة لم تجمع في كتاب.

وإجمالي حصيلة الكاتب الكبير هي:

١ ـ كتاب مترجم.

٢ ـ نص حواري.

٣ ـ ٣٤ رواية.

٤ ـ ١٣ مجموعة قصصية.

٥ـ ٤٧ مقالا وقصة منشورة في الصحف والمجلات ولم تنشر في كتاب، وفيما يلي استعراض لهذه لأعمال، وأماكن وتواريخ نشرها.

أولا : الروايات

١ ـ عبث الأقدار:

هي روايته الأولي، وقد نشرها لأول مرة عام ١٩٣٩، وصدرت طبعتها الحادية عشرة عام ١٩٨٥، وهي رواية تاريخية،حكي فيها جانبا من التاريخ المصري القديم في إطار روائي، لم يكن قد تمكن من أدواته بعد، علي الرغم من أنها تعكس معرفته الدقيقة بالتاريخ المصري القديم، ويدور الصراع الرئيسي فيها بين الخير والشر من خلال أسطورة كان المصريون القدماء في عصر الدولة الوسطي الفرعونية يقصونها علي أطفالهم بقصد إبراز لعب القدر بالبشر وسخريته منهم.

٢ ـ رادوبيس:

روايته الثانية التاريخية وقد نشرت طبعتها الأولي عام ١٩٤٣ م، وصدرت طبعتها العاشرة عام ١٩٨١م، ويستعرض فيها حياة المصريين القدماء من خلال استعراض قصة حب رادوبيس وفرعون وتنتهي بفاجعة موت المحبوبة العذبة، وهي من النوع الرومانسي.

٣ـ كفاح طيبة :

وصدرت الطبعة الأولي من هذه الرواية عام ١٩٤٤م، والحادية عشرة عام ١٩٨٥م، وهي مثل سابقتيها، رواية تاريخية (فرعونية) تحكي قصة كفاح المصريين للتخلص من الهكسوس الغزاة والذي ينتهي بظهور أحمس الذي يخوض حربا تنتهي بوحدة الشمال والجنوب وظهور طيبة كعاصمة لمصر وتخلصها من الهكسوس.

٤ ـ القاهرة الجديدة :

روايته الواقعية الأولي، صدرت لأول مرة عام ١٩٤٥م وطبعتها الثانية عشرة عام ١٩٨٤م، وبها يفتتح نجيب محفوظ مرحلته الواقعية الأولي ويستعرض فيها حياة الطبقة الأرستقراطية وفسادها وانحلالها في الثلاثينات (١٩٣٤) في فترة حكم إسماعيل صدقي وما صحبه من كساد اقتصادي وعبث بالدستور وتحكم واستبداد، ويعد بطلها، محجوب عبد الدايم، واحدا من أهم شخصيات الكاتب.

٥ ـ خان الخليلي :

صدرت طبعتها الأولى عام ١٩٤٦م وطبعتها العاشرة عام ١٩٧٩ م، وتصور عالم الأحياء الشعبية وسكانه الكادحين والقيم التي تسوده وتكشف عن حياة شريحة من صغار الموظفين لجأت

إلي الحي الشعبي لتحتمي به من خطر غارات الحرب العالمية الثانية، وعبر من خلالها عن رفضه الواضح للمادية والفلسفة المادية وطبيعة العصر الحديث من خلال تصويره لشخصية المحامي راشد الذي أفقده عينا من عينيه تعبيرا عن كونه يري الحياة بعين واحدة ومن زاوية واحدة.

٦ ـ زقاق المدق:

صدرت طبعتها الأولي عام ١٩٤٧ م والثانية عشرة عام ١٩٨٥ م، وتصور حياة أهل القاهرة الشعبية، في فترة أواخر الحرب العالمية الثانية ونهايتها، حيث يمر الزمن علي زقاق المدق فتحاول مظاهر التغيير دخول عالم الزقاق وأهله، وإن كان هذا التغيير يتم فإنه يتم إلي الأسوأ، وتعد شخصية زيطة صانع العاهات من أهم شخصيات الرواية، بل من أهم شخصيات الكاتب.

٧ ـ السراب:

صدرت لأول مرة عام ١٩٤٨ م وفي عام ١٩٨٤ م صدرت طبعتها الثانية عشرة، ويضعها النقاد بعد رواياته التاريخية والأخرى الواقعية باعتبارها تمثل مرحلة التحليل النفسي،ومحور الرواية يدور حول شخصية «كامل رؤبة لاظ» الذي يحلل الكاتب شخصيته بناء علي نظرية عقدة أوديب إحدي أفكار مدرسة فرويد

للتحليل النفسي.

٨ ـ بداية ونهاية :

صدرت طبعتها الأولي عام ١٩٤٩ م وطبعتها الرابعة عشرة عام ١٩٨٤م (وهو أكبر عدد من الطبعات لأي من كتبه كلها) وتصور الفترة الزمنية الممتدة من نوفمبر ١٩٣٥ إلي أواخر سنة ١٩٣٩ م من خلال استعراض حياة ثلاثة أبناء لأسرة واحدة، أحدهم حسن الابن الأكبر الذي ينحدر إلي القاهرة الشعبية، وحسين الابن الأوسط الذي يرضي بما كتب للشريحة الوسطي من المجتمع، والثالث حسنين، الابن الأصغر الذي يتطلع إلي القاهرة الأرستقراطية، ويمثل القدر العامل الرئيس المؤثر في مأساة الأسرة.

٩ ـ بين القصرين:

هي أول جزء من ثلاثية محفوظ الشهيرة، نشرت لأول مرة عام ١٩٥٦م، وصدرت طبعتها الثانية عشرة عام ١٩٨٣م، ويعرض هذا الجزء حياة السيد أحمد عبد الجواد وأسرته في فترة طفولة وشباب الأبناء والبنات حيث نري أحمد عبد الجواد رجلا محافظا متمسكا بالسيادة في البيت، أما في الخارج فهو يطلق العنان لنفسه دون رادع، وتصور الرواية ما يدور في المجتمع المصري من حركات سياسية واجتماعية في فترة الإحتلال

البريطاني لمصر وظهور حزب الوفد المصري.

وينتهي هذا الجزء باستشهاد فهمي الابن الأوسط لأحمد عبد الجواد في احدي المظاهرات المطالبة بالاستقلال.

١٠ ـ قصر الشوق:

هي الجزء الثاني من الثلاثية، نشرت لأول مرة عام ١٩٥٦م، وطبعت للمرة الثانية عشرة عام ١٩٨٤م، وفيها يستكمل الكاتب استعراض حياة أسرة أحمد عبد الجواد وزوجته أمينة وابنيه كمال وياسين، وابنتيه خديجة وعائشة، وفي جو يسوده الصراع بين المصريين والانجليز الذين نفوا سعد زغلول زعيم الوفد، الذي تستعرض الرواية عودته أيضا.

وفي هذا الجزء يظهر الجيل الثالث من الأسرة، وينتهي بإصابة الأبناء الثلاثة لعائشة بالتيفود، وبوفاة سعد زغلول التي سببت صدمة كبيرة للأسرة، وبالأخص كمال الأكثر اهتماما بما يجري في المجتمع.

١١ ـ السكرية:

هي الجزء الثالث من الثلاثية، ونشرت لأول مرة عام ١٩٥٧م، وطبعت للمرة الحادية عشرة عام ١٩٨٤م، وفيها يظهر الجيل الثالث من أحفاد السيد أحمد عبد الجواد ليشاركوا في الحياة السياسية، حيث يتسلم مصطفي النحاس قيادة الوفد، ويموت

السيد أحمد عبد الجواد، في البداية، فتسقط الأم طريحة الفراش، وبسجل كاتبنا لحظة انتظار انقلاب يحدث ليغير كل شيء.

١٢ ـ أولاد حارتنا:

نشرت لأول مرة عام ١٩٦٠م في بيروت، ولم تنشر في مصر إلا مسلسلة في جريدة الأهرام، وكان عدد من الأزهرية المحافظين قد فهموها خطأ، وفسروها تفسيرات تجانب الصواب الأمر الذي دفع السلطة الطلب من محفوظ تأجيل نشرها في كتاب في مصر، والاكتفاء بنشرها مسلسلة في الأهرام الأمر الذي ارتضاه محفوظ واعتبره حلا وسطا مقبولا.

وهي تحكي قصة أجيال مختلفة من عائلة سيد الرحيمي.

١٢ ـ اللص والكلاب:

يسميها نجيب محفوظ قصة قصيرة طويلة أو رواية قصيرة، ويعتقد انه بذلك قد كتب لأول مرة هذا الشكل، وقد نشرت لأول مرة عام ١٩٦١م وطبعت للمرة التاسعة عام ١٩٨٠م، ويعد بطلها سعيد مهران من أبرز شخصياته.

١٤ ـ السمان والخريف:

نشرت لأول مرة عام ١٩٦٢ م وطبعت ثماني مرات كان آخرها عام ١٩٨٤ م وتسجل في بدايتها حريق القاهرة (يناير ١٩٥٢ م) وفساد الأحزاب قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ م، والثورة نفسها،

وتحكي قصة بطلها عيسي الدباغ المقامر والانتهازي الذي ما أن تنهار أحلامه قبل الثورة حتى يحول انتهازيته إلي اقتناص الفرص لمصلحته الشخصية، وفيها تسجيل للعدوان الثلاثي علي مصر عام ١٩٥٦ م.

١٥ ـ الطريق:

صدرت طبعتها الأولي عام ١٩٦٤ م وطبعتها الثامنة عام ١٩٨٥ م وتحكي قصة صابر الرحيمي الذي يبحث عن أبيه دون أن يجده فيغرق في حياة الضياع، وفي الطريق يرتكب جريمة قتل ويقبض عليه، ويعد من أبرز شخصيات كاتبنا الكبير.

١٦ ـ الشحاذ:

تعد كالروايات الثلاث السابقة قصة بطل فرد هو هنا عمر الحمزاوي، ونشرت لأول مرة عام ١٩٦٥م، وصدرت طبعتها الثامنة عام ١٩٨٥، والبطل هنا شاعر فاشل يعاني مما يدور داخله من حيرة لذلك نجد الكاتب يلجأ إلي المونولوج الداخلي بشكل واضح لأول مرة في أعماله.

١٧ ـ ثرثرة فوق النيل:

هي واحدة من أعذب رواياته، نشرت لأول مرة عام ١٩٦٦ م، وطبعت لسادس مرة عام ١٩٨٣، وتجري أحداثها في عوامة علي النيل حيث نلتقي بنماذج مختلفة من الرجال والنساء الذين

يحسون بضياع ويجدون في الكيف هروبا مما يحسون به، ومن أبرز شخصياتها أنيس زكي وليلي زيدان وخالد عزوز وعلي السيد وسناء الرشيدي وأحمد نصر.

١٨ ـ ميرامار:

نشرت لأول مرة عام ١٩٦٧ م وصدرت طبعتها الخامسة عام ١٩٧٩ م وهي رباعية تحكي حوادثها أربعة شخصيات هم عامر وجدي وحسين علام ومنصور باهي وسرحان البحيري، كل من زاويته الخاصة، وهم نماذج مختلفة للجيل الذي أحس بالهزيمة وأخذ يرثي حاله دون أن يتحرك، وقد استسلموا للحياة في بنسيون ميرامار يحاول كل منهم التقرب إلي زهرة (أكثر شخوص الرواية عذوبة) وهي فتاة فلاحة فسرها بعض النقاد بأنها رمز لمصر.

١٩ ـ المرايا:

صدرت طبعتها الأولي ١٩٧٢ م والرابعة عام ١٩٨٠ م وهي أقرب إلي السيرة أو الترجمة الموضوعية الروائية، يحل العصر فيها محل الحارة، رتب الكاتب فيها الشخصيات العديدة التي استعرض اللحظات الأساسية من حياتها التي تعكس نماذج من الفترة السابقة علي حرب اكتوبر ترتيبا أبجديا، ليلعب بعنصر الزمن لعبة روائية.

٢٠ ـ الحب تحت المطر:

نشرت لأول مرة عام ١٩٧٢ م وصدرت طبعتها الرابعة عام ١٩٨٠ م، ويعود بها نجيب محفوظ إلي التسجيل شبه المباشر لما يجري في الواقع، ويعبر فيها عن أزمة الجيل الجديد الذي يتساءل إلي أين تمضي الدنيا ؟ ونشهد جريمة قتل عبثية تعبر عن فترة ضياع ما قبل أكتوبر.

٢١ ـ الكرنك:

كتبها عام ١٩٧١ ولم تنشر في طبعتها الأولي إلا عام ١٩٧٤ م، والسابعة عام ١٩٨٦ م وهي من روايته القصيرة، من مرحلة الواقعية النقدية التي بدأت تظهر في «ثرثرة فوق النيل» وهذه المرة نري الراوي يحكي عن شخصيات هي التي تحمل عنوان الفصول، وكأن الكاتب أراد أن يجرب شكلا جديدا من أشكال التعبير، حيث يصبح الراوي هو المرآة العاكسة للآخرين، من أبرز شخصياتها، قرنفلة، وإسماعيل الشيخ، وزينب دياب وخالد صفوان، ويأتي فيها تسجيل الأوضاع السياسية حادا، وبشكل مباشر، والمقصود بالكرنك هو المقهى الذي تدور فيه الأحداث ويجمع خليطا رامزا لنماذج بشرية عديدة في المجتمع المصري.

٢٢ ـ حكايات حارتنا :

نشرت لأول مرة عام ١٩٧٥ م وطبعت للمرة السادس عام ١٩٨٦م وفيها يعود نجيب محفوظ إلي الحارة المصرية في فترة الأربعينيات، وتضم العديد من الحكايات القصيرة التي يسجل فيها الحياة الاجتماعية في الحارة المصرية.

٢٣ ـ قلب الليل:

نشرت لأول مرة عام ١٩٧٥ م وصدرت طبعتها الثالثة عام ١٩٨١م وتدور أحداثها عبر الذكريات في أحياء خان جعفر والحسين وتحكي قصة جعفر الراوي ابن الحسب والنسب الذي تبددت ثروته وهام علي وجهه يبحث عن الخلاص.

٢٤ ـ حضرة المحترم:

نشرت لأول مرة عام ١٩٧٥ م وطبعت لرابع مرة عام ١٩٨٣ م وفيها يعود إلي تسجيل حياة موظف مصري بيروقراطي غارق في أحلام الوصول إلي أن يكون شخصية اجتماعية مرموقة من خلال وضعه الوظيفي.

٢٥ ـ ملحمة الحرافيش:

طبعت لأول مرة عام ١٩٧٧م وتكرر طبعها ثلاث مرات حتى عام ١٩٤٨ م وتعد واحدة من أجمل ما كتب محفوظ عن الحارة المصرية (القاهرية بالأحرى) وما يدور فيها من صراع بين الخير

والشر، وفيها نماذج بشرية شديدة الغني والتنوع يصعب حصرها، لذلك فإنها ولدت العديد من الأفلام التي تناول كل واحد منها، شخصيات بعينها.

٢٦ ـ عصر الحب:

نشرت عام ١٩٨٠ م، ولم يتكرر طبعها حتى الآن (عام ١٩٨٨ م) ولجأ فيها الكاتب إلي أسلوب الحكاية الشعبية عن «ست عين» المرأة القوية غريبة الأطوار التي خرجت من الحارة إلي المدينة الفسيحة، وخلال هذه الرحلة نلتقي بنماذج بشرية عديدة، وعلي الرغم من أن «ست عين» تموت إلا أن الراوي يروج أسطورة أنها لا تزال تحيى كرمز للاستمرار.

٢٧ ـ أفراح القبة:

طبعت لأول مرة عام ١٩٨١ م وصدرت طبعتها الثانية عام ١٩٨٣ م، وهي رباعية أخري (قصيرة) يحكي فصولها كل من طارق رمضان، وكرم يونس، وحليمة الكبس، وعباس كرم يونس، والحديث الرئيس فيها يدور في كواليس المسرح، عن مسرحية مرعبة كاشفة في الوقت نفسه ما يجري في «الحارة» رمز المجتمع من جرائم خفية تفسر الواقع تفسيرا جديدا.

٢٨ ـ ليالي ألف ليلة:

نشرت طبعتها الأولي عام ١٩٨٢ م، والثانية عام ١٩٨٣ م،

وهي واحدة من أجمل وأبرز أعماله، كما أنها مصممة من الناحية الفنية تصميما مميزا، يقودنا فيها كاتبنا الكبير إلي حالة من استلهام التراث عبر حكاية شهرزاد وشهريار إلي عوالم واقعية عما يجري في مدينة مجردة مسربلة بالظلام، نتابع فيها أشخاص لا حصر لعددهم، وهي مدينة خيالية يتم كل شيء فيها في حالة ما بين الواقع والحلم، وهي من الأعمال التي يستحيل تلخيصها لأنها بعيدة عن «الحدث» التقليدي.

٢٩ ـ الباقي من الزمن ساعة:

نشرت لأول مرة عام ١٩٨٢ م، ومرة ثانية عام ١٩٨٥م، وتحكي قصة حياة أسرة حامد برهان وسنية المهدي وابنهما محمد والبنتين كوثر ومنيرة، ويلاحظ أنه بدأ الرواية بذكر عام ١٩٣٦ م حيث يسجل أن صورة العائلة ذات المكانة المتوسطة قد التقطت في ذلك العام في حدائق القناطر الخيرية.. ويستعرض حياة الأسرة منذ هذا التاريخ وحتى ما بعد عام ١٩٧٩ مرورا بفترة الستينيات حيث، ولأول مرة يذكر الكاتب اسمي جمال عبد الناصر وأنور السادات صراحة ويقارن ما بينهما فيما يخص قضية الحرب والسلام من خلال حوار غير متقن لأشخاص الرواية وهو حوار يكشف عن الفكر الساذج للمتحاورين.

٣٠ـ رحلة ابن فطومة :

نشرت لأول مرة عام ١٩٨٣ م، ولم تطبع مرة أخري، كتبها محفوظ تحت قناع أنها منقولة عن مخطوط مدون بقلم قنديل محمد العناب الشهير بابن فطومة (ربما هي إشارة إلي الرحالة ابن بطوطة) واشتقاق الاسم يوحي بأنها رحلة عبر المكان والزمان، يبحث خلالها البطل عن الاستقرار الذي يفتقده داخل نفسه.

٣١ـ العائش في الحقيقة :

كتبها ١٩٨٥ م ونشرت في نفس العام، وفيها يعود إلي الشخصيات الفرعونية كما يعود إلي مناقشة قضية الوجود وانعكاساتها علي المجتمع المصري.

لكنها في الحقيقة، كما يتبين من القراءة المتأنية، تصوير لما حدث في مصر في السبعينيات، وكل ما حدث هو انه ألبس الشخصيات المعاصرة أقنعة قديمة وخلص منها إلي حد أن أحدا لا يستطيع أن يحدد أين هو الحق وأين الباطل في مصر المعاصرة.

٣٢ـ يوم قتل الزعيم :

نشرت طبعتها الأولي عام ١٩٨٥م، ولم يتكرر طبعها بعد (عام ١٩٨٨م) وهي رواية قصيرة، يحكيها ثلاثة أشخاص كل منهم يتناوب المونولوج في فصل قصير هم: محتشمي زايد، وعلوان فواز محتشمي، ورنده سليمان مبارك، ويعكسون ما

يعانيه المجتمع المصري في فترة الثمانينيات، حيث تتشابك المشاكل بين العمل والسكن والزواج والمواصلات حتى تأتي لحظة إطلاق الرصاص علي الرئيس أنور السادات فتختلف آراؤهم حيث نري محتشمي زايد معارضا للاغتيال وعلوان متهم بالاشتراك في القتل ورنده المحامية تدافع عنه في المحكمة.

٣٣ ـ حديث الصباح والمساء:

نشرت عام ١٩٨٧ م ولم تطبع مرة أخري بعد (عام ١٩٨٨م) ويعود فيها الكاتب لمتابعة أبطاله بطريقة هندسية توحي برغبته في تغيير التكنيك (التقنية) ولا تخرج عن منظومة أعماله التي يسرد فيها حياة الشريحة المتوسطة من المجتمع المصري وذكر أحلامها واحباطاتها.

٣٤ ـ قشتمر:

يوم أعلن عن فوزه بجائزة نوبل (أكتوبر ١٩٨٨م) كانت هذه الرواية لا تزال تنشر مسلسلة في جريدة الأهرام المصرية، وفي اليوم الذي أعلن عن هذا الفوز بالذات، تم نشر الفصل السادس منها، والجزء المنشور منها يتضمن ذكرياته عن فترة شبابه في العباسية، وما كانت تعانيه الطبقة المتوسطة المصرية في أواخر الأربعينيات.

وقد صرح الكاتب الكبير بأنها تتضمن سيرته الذاتية في فترة

شبابه وإن كان عنصر الخيال يجعلها عملا فنيا أكثر من كونها مذكرات.

و«قشتمر» هو اسم المقهى الذي كان يجمع البطل بشلة الأصدقاء في فترة الشباب.

ثانيا: مجموعات القصص:

١ـ همس الجنون:

هذه هي المجموعة الأولي للكاتب وهي أول أعماله الإبداعية التي نشرها في كتاب عام ١٩٣٨ (صدرت طبعتها العاشرة عام ١٩٨٥ م) وتضم ثلاثين قصة قصيرة من قصص البدايات الأولي.

٢ ـ دنيا الله:

نشرت لأول مرة عام ١٩٦٢، وصدرت طبعتها الخامسة عام ١٩٨٧ م، وتضم ١٤ قصة ويقول عنها النقاد أن أغلبها يعد هيكلا عظميا لروايات لم تكتب، وتدور أحداث قصصها في الحارة المصرية.

٣ ـ بيت سيئ السمعة:

نشرت طبعتها الأولي عام ١٩٦٥م، وطبعتها الثامنة عام ١٩٨٤م، وتضم ١٨ قصة قصيرة، وتدور أحداث القصص في فترة الخمسينيات، وتعكس هموم طبقة الموظفين الصغار،

وتتميز بتبلور قصصها وإتقان الأدوات التي عرف بها الكاتب فيما بعد.

٤ ـ القط الأسود:

صدرت طبعتها الأولي عام ١٩٦٩م، وطبعتها السابعة عام ١٩٨٥م، وهي واحدة من أهم مجموعاته القصصية التي عبر فيها بصدق عن مجتمع المقاهي والحارات.

٥ ـ تحت المظلة:

صدرت طبعتها الأولي سنة ١٩٦٩م وطبعتها السادسة عام ١٩٨٤م، وتضم ٦ قصص قصيرة، منها تحت المنظلة التي تعد أول قصة قصيرة لمحفوظ نسبت لتيار الحداثة في الكتابات المصرية القصصية، وكلها تعكس المعاناة التي كان المصريون يعانونها أثر هزيمة يونيو ١٩٦٧م.

٦ ـ حكاية بلا بداية ولا نهاية:

نشرت لأول مرة عام ١٩٧١م وصدرت طبعتها السادسة عام ١٩٨٤، تعكس التمزق الشديد الذي عانته مجموعات المهمشين في المجتمع المصري في أعقاب هزيمة يونيو ١٩٦٧م، واستخدم فيها أساليب جديدة متنوعة شبيهة بكتابات جيل الستينيات من المجددين.

٧ ـ شهر العسل:

نشرت لأول مرة عام ١٩٧٢م، وصدرت طبعتها السادسة عام ١٩٨٢م، وتضم سبع قصص قصيرة حيث لا تزال مرارة الهزيمة عالقة في الأجواء تنعكس علي وجوه الأبطال وفي نفوسهم، وإن كان الكاتب قد نحى إلي الواقعية في أغلبها.

٨ ـ الجريمة:

نشرت لأول مرة عام ١٩٧٢م، وصدرت طبعتها الخامسة عام ١٩٨٤م وتضم مسرحية من فصل واحد هي «المطاردة» بالإضافة إلي ثماني قصص قصيرة.

٩ ـ الحب فوق هضبة الهرم:

صدرت طبعتها الأولي عام ١٩٧٩م والثالثة عام ١٩٨٤م وتضم ثماني قصص قصيرة، وقد عاد فيها الكاتب إلي أسلوب الرمز المباشر وتعكس هموم الشباب خاصة المهمشين ومعاناتهم نتيجة للتغيرات الاجتماعية الشديدة التي جرت نتيجة إلي تطبيق سياسة الانفتاح الاقتصادي بقوة في هذه الأيام.

١٠ ـ الشيطان يعظ:

صدرت طبعتها الأولي عام ١٩٧٩ م والثالثة عام ١٩٨٤م وتضم مسرحيتين كل منهما من فصل واحد، هي «الجيل» و«الشيطان يعظ»، وهي مستوحاة من حكاية مدينة النحاس احدي

حكايات «ألف ليلة وليلة» الشهيرة، بالإضافة إلي أن المجموعة تضم ١٢ قصة قصيرة أخري.

١١ ـ رأيت فيما يري النائم:

نشرت لأول مرة عام ١٩٨٢م وصدرت طبعتها الثانية عام ١٩٨٥م، وتضم ست قصص قصيرة، تتراوح بين الأسلوب الواقعي وعالم الحارة، والأسلوب التجريدي وعالم المهمشين في مدينة القاهرة، عاكسة هموم المجتمع في فترة السبعينيات.

١٢ ـ التنظيم السري:

صدرت طبعتها الأولي عام ١٩٨٤م، ولم يتكرر نشرها بعد ذلك (حتى عام ١٩٨٨م) وتضم سبع عشرة قصة قصيرة تعبر بشكل مباشر عن المشاكل الاجتماعية في فترة الانفتاح.

١٣ ـ صباح الورد:

نشرت عام ١٩٨٧ م لأول مرة، وتضم ثلاث قصص قصيرة طويلة هي: «أم أحمد» و«صباح الورد» و«وأسعد الله مساءك» كما تضم المجموعة أيضا عشرين قصة قصيرة أخري. وهي آخر مجموعة قصص قصيرة صدرت له حتى العام ١٩٨٨م.

ثالثا: أعمال مترجمة

١ ـ مصر القديمة:

صدرت طبعته الأولي عام ١٩٣٢م ولم يصدر بعد ذلك علي الإطلاق،نظرا لعدم رواجه من جهة ولأن محفوظ لم يكن يريد أن يعرفه القراء كمترجم، وهو ترجمة لكتاب عالم المصرييات الإنجليزي «جيمس بيكي» وهو عرض للملامح الأساسية للمجتمع المصري ومعتقداته أيام الفراعنة.

رابعا: حواريات

١ ـ أمام العرش:

صدرت طبعته الأولي عام ١٩٨٣م، والثانية عام ١٩٨٥ م، ولا يعتبره الكاتب رواية وإنما يسميها «حوارية»، وهي بالفعل حوار متخيل مع حكام مصر من «مينا» إلي «محمد أنور السادات» يدور حول الحرية والديمقراطية وصلة الحاكم بالمحكوم.

وفي النهاية، وبعد مرور كل تلك السنين منذ فاز بجائزة نوبل (عام ١٩٨٨ م) وحتى اليوم (عام ٢٠٠٤ م) تلح علي رأسي، الآن، ثلاث ملاحظات:

الأولي:

لم بدأ كاتبنا الكبير الكتابة بأعمال تاريخية تهتم بالمرحلة الفرعونية، لم مثلا لم يبدأ بالتاريخ العربي، أو القبطي، أو الإسلامي ؟

أعتقد أن محفوظ كان يؤمن في أعماقه، بمصرية مصر، حيث لم تكن فكرة القومية العربية قد ظهرت بعد بالقوة التي ظهرت بها مع ثورة يوليو ١٩٥٢ م، وكما أغلب الليبراليين المصريين في بداية القرن الذين انطووا تحت عباءة ثورة ١٩١٩ بقيادة سعد زغلول وحزب الوفد (الذي لم يكن قد تكلم بكلمة واحدة عن البعد القومي العربي، بل كان يتحدث دوما عن القومية المصرية) وهؤلاء جميعا كانوا أقرب إلي الشوفينية المصرية، بقصد واضح، وعقيدة راسخة، مثله في ذلك مثل توفيق الحكيم، وحسين فوزي، ولويس عوض، وغيرهم من دعاة الهوية المصرية التي تصل بنا إلي الفرعونية، وهو أمر لا يمكن لومه، أو لومهم، عليه، فهم يعبرون عن وجهة نظر هي موضع احترام وإن كانت موضع خلاف مع من هم مثلي من الذين يؤمنون بالقومية العربية كملمح أساس لحياتنا.

ثانيا:

الطبعة التي عملنا عليها لاستخلاص هذه الملخصات هي إحدى طبعات (دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه،

بالفجالة) وهي الطبعات المعتمدة طوال السنين، قبل فوزه بجائزة نوبل (ثم تولت دار الشروق نشر هذه الكتب نفسها، بما فيها ما هو جديد) وكان الكتاب من طبعة دار مصر يصدر بغلاف تقليدي مميز، غالبا من رسوم جمال قطب، وأغلبها كان يزين برسوم داخلية لنفس الفنان مصمم الغلاف، كما أن كل الكتب جاءت خلوا من التمييز ما بين الرواية أو المجموعة القصصية(أي لم يكتب علي غلافها رواية أو مجموعة قصص) ، كما خلت مما يسمي ظهر الغلاف الذي يلخص العمل أو يعرّف به، كما هي خلو من التعريف بالكاتب، فهل اعتمد الكاتب في تلخيصه لهذه الأعمال كلها، وخلال ست ساعات (هي الوقت الذي منح له من المجلة التي كلفته بهذا العمل الجنوني) علي ذاكرته ؟ وهو الأمر الذي يعني أن أعمال محفوظ قد حفرت في هذه الذاكرة عميقا ؟

انه مجرد سؤال بريء فعلا.

ثالثا :

لقد أوحت لي هذه المحاولة بفكرة عمل موسوعة كاملة عن أعماله وحياته،(أسميتها موسوعة نجيب محفوظ) وكان هذا مشروعا كبيرا، لم أتمكن من تنفيذه لأسباب سأحكيها في قصة من القصص الوثائقية في هذا الكتاب.

- الآن ونحن في العام ٢٠١٤ م أضيف إلي هذه القائمة الأعمال التالية:

١ ـ قشتمر، رواية، ١٩٨٨ م

٢ ـ الفجر الكاذب، مجموعة قصصية، ١٩٨٨ م.

٣ ـ أصداء السيرة الذاتية، مجموعة قصصية، ١٩٩٥ م.

٤ ـ القرار الأخير، مجموعة قصصية، ١٩٩٦ م.

٥ ـ صدي النسيان، مجموعة قصصية، ١٩٩٩ م.

٦ ـ فتوة العطوف، مجموعة قصصية، ٢٠٠١ م.

٧ ـ أحلام فترة النقاهة، مجموعة قصصية، ٢٠٠٤ م.

قصة / ٦

النصابة العالمية التي
لطشت نصيبه من فلوس جائزة نوبل

نعم كنت شاهدا علي الجزء الظاهر من هذه القصة المأساوية حقا وصدقا.

نقول مأساوية لأن الرجل الذي كافح طوال ما يزيد عن نصف قرن، ليفوز في النهاية بجائزة نوبل، إذا بنصابة محتالة متطفلة علي عالم الأدب، وبغمضة عين، لشطت منه نصيبه الذي جنّبه لنفسه، من قيمة الجائزة، وطارت، وحققت فعلا معني المثل السايرر، عن الحرامي الشيطان الذي يسرق الكحل من العين.

الجزء الظاهر الذي عشته وشاهدته، وكنت خلاله ضحية أخري من ضحايا هذه النصابة، لكن ضحية صغيرة، هو انه وفي العام ١٩٨٧ م، وقعت علينا في القاهرة سيدة، فرنسية، للأسف، من أصل عربي، للأسف، نزلت علينا كالصاعقة في مقهى ريش، التي كانت المحل المعلوم والدائم للأدباء المصريين، في أغلبهم الأعم.

جاءت المحتالة مدججة بمطويات، ومطبوعات أعليها

شعار مرسوم باللغة العربية المتداخلة من الأمام والخلف، مع اللغة الفرنسية، والشعار مشغول من كلمة ألف، بداية الأبجدية العربية، شوف الشغل العالي يا ولد. نقول، وكان معها أيضا، أوراق رسمية، باسم جمعية أدبية سجلتها في باريس، بقصد، قال، المساعدة علي ترجمة ونشر الأدب العربي للغة الفرنسية، وتقديم هذا الأدب المسكين لقارئ الفرنسية وضمنهم خلق كثير من المغاربة والتونسيين، والجزائريين، الذي نسوا، أو لم يعرفوا، اللغة العربية، ويعيشون بالفرنسية، لكنهم يشتاقون لقراءة الأدب العربي، الذي ينتمون له وجدانيا، وتحكي هي، بالدموع، عن بني جلدتها من بلاد الشام، الذين يتوقون لقراءة الأدب العربي، لكنهم، ياحرام، لأنهم يعيشون في باريس، وعموم ربوع فرنسا، الأم الرءوم، هم أيضا يشتاقون للقاء بأدبنا، فكيف لا تتمزق قلوبنا ونندفع كالصعيدي الذي اشتري الترام، وننضم ونتبرع للجمعية؟.

فأنت تنضم أولا كعضو، تملأ استمارة العضوية، بملء اختيارك، بل بحماس، وثانيا تدفع أيضا رسم الاشتراك، وثالثا، بالدولار (وهي طبعا اختارت الدولار لا الفرنك الفرنسي لأنها كانت تعلم أننا في مصر لا نحب التعامل بالفرنك، ونحب الدولار، إذن بإمكانها أن تجد معنا دولارات أو يمكننا أن نأتي بدولارات من السوق السوداء التي هي في كل مكان، وعلي بعد

ثلاث خطوات بالضبط من مكان اللقاء مع النصابة وهو البازار القريب من المقهي او كشك السجائر الذي بجواره) أما أنا فقد دفعت الضعف، لأن الأخ إبراهيم أصلان، لم يكن معه دولارات أمريكي ـ ولا حتي جنيه مصري أو أي جنسية أخري، وكنت لحظة توقيعه علي استمارة عضوية هذه االجمعية من حسن حظي موجودا، حيث وقعت أنا في نفس الوقت علي استمارة العضوية اياها، وكان معي للأسف دولارات، فلما أعطيتها المائة دولار، واعتذر أصلان علي انه ليس معه دولار، قامت هي بخصم قيمة اشتراكه من دولاراتي، ودبستني في دفع اشتراك أصلان، وطبعا أنا وافقت، بل رحبت، حتى أرفع الحرج عن زميلي وصديقي إبراهيم أصلان، واضطررت لبلع ريقي، ووافقت، أقولها تاني ؟ وافقت، هه،

فهاهي النصابة، تضع من ضمن دعايتها المسمومة هؤلاء العرب المهاجرين وحكايتهم، كجزء من عوامل تشجيعنا، نحن الأدباء العرب، لمساعدتها، بأعمالنا ـ التي ستحصل علي حق نقلها للفرنسية مجانا، باعتبار ذلك مساهمة منا في تأسيس هذه المؤسسة غير الهادفة للربح ؛ ياعيني ياكتكوتة، أقول كتكوتة، لأنه اتضح مع مرور الأيام انها كانت تحصل علي معونة من الحكومة الفرنسية التي ياعيني هي نفسها وقعت في فخ الأخت أم أربعة وأربعين، واشترت الترام مثلنا بالضبط.

نعم لقد لقد قمنا نحن الأدباء المصريين المتعاطفين مع المهاجرين العرب، بشراء الترام، بكل أريحية، وبمحض اختيارنا، بل وبحماس شديد، ووقعنا علي استمارة عضوية جمعية ألف التي تهدف لنقل الأدب العربي المسكين ألي اللغة الفرنسية النشيطة، وبكل حماس.

لكن، والحمد لله أن كل ما لطشته منا العقرب الفرنسية من أصل عربي، للأسف، كان خمسة عشر دولارا من كل منا (ماعدا العبد لله فكان نصيبي ثلاثين دولارا، لأنني دفعت قيمة اشتراك أصلان، كما ذكرت عاليه وأنا آسف أنني أؤكد علي ذلك) وهذه علي أية حال، ليست أكثر من عملية شراء ترام غلبان، لا يزيد ثمنه عن قيمة ما تبرعنا به، لكن الأستاذ الكاتب الكبير المحترم المهذب الرقيق، نجيب محفوظ عبد العزيز إبراهيم احمد الباشا لم يشتر الترام فقط، بل اشتري الترام والقطار والطيارة والأتوبيس والباخرة التي تمخر عباب المحيطات، (موش بيقولو برضه تمخر عباب؟) أيضا، ووقع علي عقد ترجمة روايتين من رواياته المعتبرة، لتترجمهما العقرب الفرنسية من أصل عربي، وتنشرهما بلا مقابل، تبرعا من كاتبنا الكبير للجمعية الناهضة التي تعمل علي مساعدة الأدب العربي، لتنقلا للفرنسية، ودفع أيضا الاشتراك وقدره خمسة عشر دولارا (غيرها له الجرسون من البازار المجاور للمقهى التي كان يجلس عليها واستقبل فيها

السيدة الفرنسية من أصل عربي، وهي بالمناسبة ليست مقهى ريش، بل مقهى آخر، لم يعد موجودا الآن في ميدان التحرير) حيث هلت العقرب الفرنسية من أصل عربي عليه بابتسامتها الواسعة وصوتها الدافئ الرخيم وحركاتها النثوية الخفيفة، وعطر شانيل رقم ٥، ولم تبذل كثيرا من الجهد، وحققت العملية في حوالي خمسة وثلاثين دقيقة، وحصلت علي توقيع نجيب محفوظ علي عقد ترجمة روايتيه مجانا تبرعا منه لجمعية ألف المسجلة في العاصمة الفرنسية باريس وهدفها تشجيع نقل الأدب العربي للغة الفرنسية، وبمجرد توقيعه علي الاستمارة صرخت: واو، أنت أصبحت عضوا معنا في ألف، واو.

وما هي إلا دقائق حتى تسحبت، كالحرباء وسحبت يدها بنعومة ورقة من يد الرجل العجوز، و، فص ملح وداب.

طبعا ستقول حضرتك وماذا في هذا كله، ليس في هذا أي شيء، فكيف تدعي أن في الحكاية ضحك علي الذقون، ونصب وغير ذلك ؟

استني يا محترم، جاي في الكلام، حتى الآن ليس هناك شيء، بل هذا ما هو منتظر منا جميعا، وعلي رأسنا كاتبنا الكبير نجيب محفوظ، رحمه الله، من حماس لمساعدة جمعية ناشئة لمساعدة الأدب العربي المسكين الفقير الذي لا يجد قوت يومه، لكن:

واضح جدا لي وأنا رجل أبو خيال، أن الست الفرنسية من

أصل عربي، بعد أن عادت بالسلامة إلي بلاد بونابرته، كانت جالسة في عرينها في باريس، أقصد في الشقة المؤجرة مفروش، أي مقر جمعية ألف الموعودة، تنتظر وتتحين الفرص، لأنها بمجرد أن أعلن في الروادي (حسب تعبير محمد علي ضابط إيقاع فرقة الشيخ إمام وأحمد فؤاد نجم ـ وكان يقصد أجهزة الراديو) والتلفاز، أقصد التلفزيونات، بفوز نجيب محفوظ بجائزة نوبل، واو، حتى ركضت في اتجاه دور النشر الفرنسية ومعها عقدي نجيب محفوظ الموقعين منه شخصيا بل والموثقين من وزارت الخارجية و الداخلية و كل الجهات المطلوبة لتوثيق مثل هذه العقود لتصبح لها قوة السند القانوني الذي لا يمكن لأحد، لا نجيب محفوظ ولا جد جده يمكن أن يشكك فيه أو يتراجع عنه، لأنه موثق بكل الطرق القانونية التي لها قوة القانون في كل من جمهورية مصر العربية والجمهورية الفرنسية ؟

وطبعا، فتحت لها دور النشر الفرنسية أحضانها، طبعا، تعالي ياحلوة، وهاتي ترجمة الروايتين، طب نتفق، طيب، أروح أترجم وأرجع.

وجاءها ما يشبه الشوطة، أو الطوشة، أو الحمي الملهلبة.

لكن الحرباء الفرنسية وقد بدأت في البحث عن مترجمين للروايتين، حتى فوجئت، يعني، بخبر ما أن قرأته في صحيفة الليموند، الفرنسية، وهي الصحيفة المعتمدة التي لا تنشر أي

كلام، بل تتأكد من مصادرها بما لا يدع مجالا للشك، يقال أنها بمجرد أن قرأت الخبر أغمي عليها، فعلا وعملا، حتى أن زوجها الفرنسي طلب الإسعاف.

لكن ما يهمنا من القصة هو انه بمجرد أن أفاقت حتى ذهبت إلي محاميها الذي ما أن اطلع علي الخبر في صحيفة الليموند، حتى صاح بالفرنسية: اكسلاسيون، اكسلاسيون، انتي زألانا ليه يا مدام ؟ دا شيء أظيم، دا اهنا هنكسب القضية ميه في المية وحنطلع فلوس متلتلة بدون مجهود، لا هنترجم، ولا ننشر، ولا هاجة، اهنا هنأبض فلوس بس.

مالت الحرباء الفرنسية من أصل عربي إلي الخلف، وجذبت نفسا عميقا من سيجارتها الجلواز الساخنة وسألت وهي تهز شعرها المنكوش:

ـ أزاي يا فالح ؟ هنكسب أزاي وهوا عمل كده ؟

أيه الموضوع ؟

الموضوع أن الليموند فعلا نشرت القصة، والقصة التي نشرتها الصحيفة الفرنسية المعتمدة هي أن نجيب محفوظ وقع عقدا مع دار نشر الجامعة الأمريكية في القاهرة علي أن تكون الجهة الوحيدة صاحبة الحق، في ترجمة ونقل جميع (اكتب جميع هذه بالبنط العريض) أعماله التي كتبها طوال عمره، بل وتلك التي سيكتبها حتى نهاية عمره.

تمام ؟ فيها حاجة دي ؟

آه فيها، لأن هذا معناه أن نجيب محفوظ نفسه، افتأت (اكتب افتأت هذه بالبنط، كذا، العريض أيضا) علي الحق المخول لجمعية ألف وممثلتها في العقد السيدة الحرباء الفرنسية من أصل عربي، وهذا يعطيها الحق في مقاضاته، أي جرجرته للمحاكم في فرنسا، بل وفي مصر نفسها، وستحكم المنحكمة لها بكل أريحية، لأن العقد الذي وقعه نجيب محفوظ مع الجامعة الأريكية فيه افتئات علي الحق الذي وقع علي منحه للجمعية الفرنسية وممثلتها الفرنسية من أصل عربي.

شفت ؟

طيب، ما العمل علي رأي فوسافيتش لينين ؟

سألت السيدة الفرنسية من أصل عربي محاميها، الذي لا بد من الاعتراف بسرعة بديهته، فقال لا فض فوه:

ـ بسيطة، أولا نبعث بإنذارين، واحد للجامعة الأمريكية، والثاني لنجيب مهفوز، ونبلغهما بأنهما وقعا عقدا يفتئت علي حقنا المنصوص عليه في عقدنا ؟

ـ هه، وبعدين ؟

ـ طبعا سيردان، أو علي الأقل سترد الجامعة الأمريكية (خاصة ونحن سنلمح لهما بأننا سنرفع قضية ونطلب تعويضا بالملايين) وتسأل عن العقود، فنرد نحن طالبين موعدا مع المحامي الخاص

بهم، لنعرض عليه العقدين الموقعين من نجيب محفوظ والموثقين في الجهات الرسمية في كل من جمهورية مصر العربية والجمهورية الفرنسية، وسبب المقابلة أننا لا نستطيع إعطائهما الأصل، ولكن يمكننا أن نسلمهما صورة، ونطلعهما علي الأصل.

– هه. آه.

ـ علي فكرة أنا لا أريد أن أكلفك قيمة التذكرتين، أو الأوتيل، ع الفاضي، ولكن لا بد أن نكون موجودين لأننا سنحصل علي الفلوس بسرعة، وهأ، نرجع.

ـ يابن الأيه ؟

ـ طبعا ، سيمهلنا المحامي بعض الوقت، ولا يهمك، نعطيه ثلاثة أيام، وفي هذه الثلاث أيام نقوم برحلة سياحية لشرم الشيخ، فقد سمعت أن هناك فنادق رائعة، وشاطئ لازوردي، ونشرب ونهيص، ثم نعود للموعد التالي، وأراهن علي أننا سنجد الشيك جاهز، ونخطفه ونجري.

ـ واو.

ـ ولا واو ولا حاجة، حتشوفي.

وهذا ما حدث بالضبط، لقد جاءا إلي القاهرة مساء يوم الأحد، ونزلا في فندق رمسيس هلتون، وفي صباح الاثنين ذهبا إلي الجامعة الأمريكية (مشيا علي الأقدام) ولم يقضيا أكثر من

خمسين دقيقة مع محامي الجامعة الأمريكية، حتى توصلا إلي اتفاق.

ـ لكن حنحتاج يومين حتى نأتي بالشيك من الأستاذ نجيب.

ـ ولا يهمك، يومين يومين.

وما حدث أن السيد محامي الجامعة الأمريكية ذهب إلي نجيب محفوظ وأبلغه بالخبر السيئ، وأبلغه بأن الأمر خطير لأن السيدة الفرنسية من أصل عربي، وثقت العقود بشكل «ميخرش الميه»، ولكن ليس هذا هو الخطير، بل الخطير أنها طلبت تعويضا قدره مليون دولار عن كل عقد:

ـ مليون دولار، أجيب منين أنا مليونين دولار؟.

ـ أنا ممكن أتفاهم معها، مالمبلغ الذي ممكن أن تدفعه حضرتك ؟

ـ أنا كل الباقي معي هوا المبلغ الذي جنبته لنفسي، فقد قسمت قيمة الجائزة علي خمسة أنصبة، واحد للجماعة (يقصد زوجته أم بنتيه) ولكل بنت نصيب، ونصيب آخر راح لبريد الأهرام لمساعدة الطلبة الغلابة ليتعلموا،

ـ طيب فهمت، أنا حأعرض عليهم الصلح مقابل نصيبك، مفيش قدامنا حل تاني، بدلا من الجرجرة في المحاكم.

ـ إعرض.

ـ أنا آسف حضرتك، مفيش حل غير كده.

ـ علي فكرة الجهات التانية أخدت نصيبها وصرفته، وأنا موش علي استعداد أرجع حق الولية أو حق البنات أو حق الطلبة الغلابة.

ـ حاضر متخفش. حأحاول.

ـ لأ متحاولش، هوا كده ومفيش غير كده.

ـ حاضر.

(حاضر يابن الوسـ.. يعني مكانش فيه يابن الكلب حل إن الجامعة الأمريكية تدفع المبلغ من الملاين اللي بدأت تعملها من أول لحظة توقيعه لعقد الاحتكار الذي ضحكت به عليه الجامعه وأثرت من وراء الرجل الغلبان الشقيان، يا أولاد الكلب ؟)

وهذا ما حدث بالفعل، جاءت الشر.. من فسحتها مع المحامي الألعبان، بعد أن قضيا وقتا ممتعا وحميميا علي الشاطئ اللازوردي في شرم الشيخ، وذهبا إلي الموعد المحدد، في الجامعة الأمريكية، وفي البداية امتعضا.

ـ نصيبه في الجائزة ؟، بس ؟

ـ يعني حوالي ٨٠ ألف دولار، حلوين.

ـ طيب أدينا دقيقتين نتفاهم.

انسحبا من غرفة المحامي ونزلا إلي حديقة الجامعة، وتمشيا بين الزهور والورود، والفتيات لابسات الشرطات الساخنة يتقلبن علي النجيل الأخضر تحت ظلال الزيزفون، والمحامي فكر،

والفرنسية من أصل عربي فكرت، وهز كل منهما رأسه للآخر، هيا نفعل،، ياله، نخطف الفلوس ونجري، ثم عادا إلي مكتب المحامي.

المحامي الفرنسي:

ـ موافقان.

الحيزبون الفرنسية من أصل عربي:

ـ عشان خاطرك انتا بس.

ـ ماشي سيكون الشيك هنا في الغد.

ـ متي بالضبط ؟.

ـ الساعة ١١.

ـ ماشي،

عادا إلي الفندق، وبعد تناول الغداء نزلا إلي الرسبشن وحجزا تذكرتين في الطائرة المسافرة إلي باريس مساء اليوم التالي، وفي غرفتها المطلة علي النيل أعدت الجلسة لأمسية رومانسية، مع العشاء الفاخر، والنبيذ الفرنسي، وما أن دارت الرؤؤس بالكؤوس حتى جاء موعد السرير، ولم يمض كثير وقت حتى ارتديا ملابسهما الفاخرة، وتعطرا بالعطر الباريسي المعتبر، وتمشيا حتى مكتب محامي الجامعة الأريكية (للمرة الثانية)، ولم ينتظرا لشرب القهوة، بل اختطفا الشيك، وخرجا، ركبا عربة أجرة، وذهبا إلي البنك، أوف، أح، وما هي إلا لحظات حتى كان

المبلغ قد طار (تم تحويله) إلي فوووووه، باريس، حيث لحقا به في الطائرة التي طارت بعدة بساعات، في نفس اليوم، في المساء. في نفس اليوم.

ياعيني ياولداه، وراح الرجل الكبير، المريض بالضغط والسكر، والذي مرمطته القنوات التلفزيونية والوكالات الأنبائية، وكل متنطعي العالم طوال الشهور الست الماضية منذ فاز بالجائزة المشئومة، أحاديث، حوارات، أحاديث، لوكلوك، لوكلوك، لوكلوك، حتى قلعته الفرنسية من أصل عربي لباسه وسابته بلبوص، ياولداه.

راح المسكين يتقلب علي فراشه من حمي القهر (وخلي بالك القهر جاي من مين ؟ من واحده، يقال عنها في قاموسنا المعتبر، الذي حفظته تلقينا من أحمد فؤاد نجم، مرة، مكنة، شوشو، عجلة، سوسته)

أنا شخصيا، المدعو عبده جبير، فعلا وصدقا، وفعلا، حملت سكيني الكزلك، ونزلت من بيتي في السيدة زينب، بعد أن سمعت القصة، إلي وسط البلد، ورحت أدور عليها هنا وهناك (وعيناي تقدحان شررا، وفعلا لورأيتها لكنت رحت فيها تأبيدة بنت المرة الوسخة).

موس وسخة برضه ؟

لكن للأسف، طارت، ولم ألحق بها.

لكن ربك لا ينسي الغلابة، وبدأت مكنة النشر تعمل بكل قوتها، والكتب تترجم إلي ثلاثين أربعين لغة، والطبعة ورا الطبعة، والفلوس تيجي من هنا وهناك، والجامعة الأريكية، تشفط شوية، و تدي شوية، حتى عوضه الله عما راح، وفي ستين داهية، لكن المضحك المبكي ليس هذا، بل ذاك، اقصد ذلك الحظ العاثر الذي لازمه، الحمد لله: أحيانا، فيما يخص الجوائز.

إيه تاني ؟

قبل أن نعرج علي هذا التاني، لابد من سرد بعض الأشياء.

أولا: وهذا مهم، اتضح بعد ذلك أن الفرنسية من أصل عربي، تعيش هي وزوجها الفرنسي علي بدل البطالة، وأنهما لا يعملان، وقد وجدا في فكرة إنشاء هذه الجمعية عملا للاحتيال لرفع مستوي معيشتهما.

ثانيا: اتضح أن الجمعية المذكورة لم تقم بترجمة أو المساعدة علي ترجمة أي شيء، لا روايات، أو أشعار،أو دراسات، لا قبل الاحتيال علي نجيب محفوظ أو بعده.

ثالثا: أن المحتالة الدولية مرت علي عدة دول عربية خصوصا الخليجية منها وجمعت أطنانا من الأموال.

رابعا: وفي الطريق استغلت اسم شاعر مشهور جدا وجعلت ابنته التي تعيش في باريس رئيسة للجمعية، حتى تم اكتشافها، خاصة بعد أن نشر موضوع احتيالها علي نجيب محفوظ، وبعدها

اختفت تماما ولم يعد أحد يراها.

***

نأتي إلي «تاني» التي ذكرت عاليه، وخلاصتها يتعلق بمحفوظ والجوائز في حياته.

لقد فاز كاتبنا الكبير بعدة جوائز، كان أولها جائزة «قوت القلوب الدمرداشية» و هي ابنة الشيخ محمد الدمرداش شيخ الطريقة الصوفية الدمرداشية، وهو الذي أنشأ مستشفي الدمرداش الشهيرة، وقد ترك لابنته ثروة طائلة ضمنها خمسة آلاف فدان، وهي كانت معجبة بالأدب والأدباء فأنشأت بالتعاون مع مجلة «الثقافة» جائزة أدبية سنوية للقصة ـ حيث نقرأ في أحد أعداد سنة ١٩٤٠ م من مجلة «الثقافة» إعلانا، لا يخلو من طرافة، في الصفحة ٣٠ يقول:

«المسابقة الأدبية لجائزة صاحبة العصمة السيدة قوت القلوب هانم الدمرداشية، وضعت لجنة المسابقة قرارها في القصص المقدمة لمجلة الثقافة، لنيل جائزة صاحبة العصمة السيدة قوت القلوب هانم الدمرداشية، وسيعلن هذا القرار في العدد المقبل من الثقافة، فنوجه إليه الأنظار»

ونعلم من نجيب محفوظ نفسه أن لجنة التحكيم ضمت كل من طه حسين، وأحمد أمين، رئيس تحرير «الثقافة» و محمد فريد أبو حديد.

ثم نقرأ في العدد التالي إعلانا منشورا في الصفحة ٢٧،لا يقل طرافة عن سابقه، يقول:

«يسر مجلة «الثقافة» أن تعلن اليوم قرار لجنة التحكيم في مباراة القصص لنيل جائزة حضرة صاحبة العصمة السيدة قوت القلوب هانم الدمرداشية فيما يأتي:

« اختارت لجنة التحكيم من بين القصص المقدمة القصتين الآتيتين:

١ ـ «سلامة القس» لمؤلفها الأستاذ علي أحمد باكثير ـ منيل الروضة بمصر.

٢ ـ «رادوبيس» لمؤلفها الأستاذ نجيب محفوظ ـ بالأوقاف بمصر.

وقد رأت اللجنة تقسيم الجائزة بين حضرتيهما مناصفة.

ثم نقرأ في العدد التالي تحت عنوان:

« المسابقة الأدبية

« تفضلت حضرة صاحبة العصمة السيدة قوت القلوب الدمرداشية فأرسلت لمجلة الثقافة مبلغ الخمسين جنيها التي تبرعت بها لأحسن رواية، وقد قررت لجنة القراءة توزيعها مناصفة بين مؤلفي رواية «سلامة القس» ورواية رادوبيس وهما الأديبان علي أحمد باكثير مدرس بمدرسة الرشاد الثانوية بالمنصورة ونجيب افندي محفوظ بسكرتارية الأوقاف، وقد

حضرا إلي مجلة الثقافة وتسلم كل ما يخصه...

و «الثقافة» والمؤلفان يتقدمون بالشكر الجزيل لصاحبة العصمة علي تشجيعها الأدب والأدباء.

الحمد لله أن محفوظ «قبض» قيمة الجائزة التي وصفها فيما بعد بأنها كانت مبلغا عظيما يقارب أعراض الثراء، في ذلك الوقت، لدرجة أن سكان العباسية، حيث كان يعيش، راحوا يتحدثون بالأمر، لكن ما كان مهما أكثر بالنسبة له هو أن هذه الجائزة رفعت من روحه المعنوية حيث كان يعاني من الإحباط، يقول: «ففي تلك الفترة تعرضت للفشل وأنا أحاول نشر رواياتي في الصحف بما فيها الصحف غير المعروفة فكنت اكتب واضع ما اكتبه في الدرج انتظارا للفرج».

بعدها حصل محفوظ علي مائة جنيه أخري نتيجة فوزه بجائزة من مجمع اللغة العربية عن روايته «كفاح طيبة»، وقد نتج عن حصوله علي هذا المبلغ تحسن في أحوله المادية إلي حد كبير كما يقول.

الجائزة الثالثة التي فاز بنصفها محفوظ كانت جائزة وزارة المعارف (التعليم الآن) وقبض قيمتها، وهو يذكر بكثير من العرفان أن عباس محمود العقاد هو الذي وقف مع روايته «خان الخليلي» لكن بقية أعضاء اللجنة كانوا متحمسين لرواية سعيد العريان الأمر الذي أدي إلي اقتسام الجائزة بينهما.

لقد حصل نجيب محفوظ علي قيمة كل هذه الجوائز، حتى جاءت حادثة جائزة الدولة التي فاز بها عام ١٩٥٨ م وطارت فلوسها كما طار نصيبه من فوزه بجائزة نوبل علي يد النصابة الفرنسية من أصل عربي.

إذ أنه وبمجرد فوزه بقيمة الجائزة وهو مبلغ ٢٠٠٠ جنيه أقنعه أحد الأصدقاء بشراء فيلا (انظر) علي النيل بضاحية المعادي مربض الأرستقراطية المصرية والأجنبية.

كان الصديق نفسه يزمع شراء واحدة مثلها، وبالفعل سلمه المبلغ فإذا بالصديق يتعرض لحادث سير، ويقوم اللصوص، بتقليب السيارة، ويلطشون الحقيبة التي كانت تضم مبلغ الـ ٤ آلاف جنيه قيمة الفلتين، ويطير المبلغ علي شاطئ المعادي هذه المرة، لا شاطئ السين كما حدث في عملية الفرنسية من أصل عربي.

قصة / ٧

كيف حول عامة المصريين فوزه بنوبل إلي مولد شعبي والسلطة إلي فعاليات بيروقراطية تكشفها وثيقة رسمية

قبل أن نستعرض «الوثيقة الرسمية» المشار إليها في العنوان عاليه، علينا أولا أن نجيب علي السؤال: كيف كان رد فعل الشعب المصري تجاه فوز محفوظ بجائزة نوبل ؟

وحتى أكون واضحا فأنا أقصد بـ «الشعب المصري» هنا أغلبية المصريين الذين يشكلون السواد الأعظم من الجمهور الذين كانت السينما قد عرّفتهم عليه وعلي الشخصيات التي رسمها والأحداث التي جرت في هذه الأعمال.

فكيف كان رد الفعل هذا ؟

***

كعادتهم، استقبل المصريون خبر فوز «نجيب محفوظ» بجائزة نوبل، بفرحة غامرة، وبمجرد انتشار الخبر عبر نشرات الأخبار، رأينا لأول مرة المئات من الناس البسطاء الذين جاءوا إلي حيث يسكن الكاتب الكبير، علي كورنيش العجوزة،

يقتربون بحذر من العمارة التي يسكنها، وقد بدا هذا واضحا حين استقبلوه بالتصفيق والهتاف والدعوات والزغاريد، لحظة خروجه من البيت، بعد الإعلان عن فوزه بالجائزة، وفي أعقابه يركض رجال الأعلام ومصوري التلفزيون المصريين والأجانب الذين تزاحموا حوله وهو يركب السيارة لينطلق إلي جلسته الأسبوعية مع الحرافيش.

من جهتها بدأت محطات الراديو المصرية، بما فيها المحلية، في إذاعة أحاديثه السابقة، وطرفا من المسلسلات التي أخذت عن رواياته، وما أمكن من مشاهد أفلامه، كما أجرت استطلاعات مع الأدباء الآخرين، والنقاد، بل والشخصيات العامة التي قد لا يكون بعضهم قد قرأ شيئا له، كما مع النجوم الذي أدوا أدوارا في أفلامه، يحيي شاهين، و نور الشريف، وعزت العلايلي، وسناء جميل، وكمال الشناوي، وصفية العمري، ومحمود يسن، ونادية لطفي، وفريد شوقي، وتحية كاريوكا، وغيرهم، كما غيرت أغلب القنوات التلفزيونية برامجها لتبث أفلامه، ومسرحياته، ولا يخلو الأمر من استطلاعات لرأي الناس في شوارع الحسين، حيث جرت أحداث رواياته، وخصت بالاستطلاع مقهى الفيشاوي الشهير، حيث كان محفوظ يجلس بين الحين والآخر، وكذا مقهى ريش التي عقد فيها ندوته الأسبوعية لسنوات وسنوات حتى منعت مباحث أمن الدولة عقدها فانتقل إلي كازينو قصر

النيل علي الشاطئ البعيد من وسط البلد.

صباح اليوم التالي تخاطف الناس الجرائد اليومية، ثم المجلات الأسبوعية، إلي درجة أن بعض الصحف كالأهرام والأخبار والجمهورية، ضاعفت من أعداد المطبوع منها، بل أصدر بعض الصحف، خاصة الحزبية منها، طبعات ثانية (وقامت جريدة الأهالي بعمل شجاع إذ نشرت رواية «أولاد حارتنا» ـ التي منعت في مصر منذ نشرت مسلسلة علي صفحات الأهرام عام ١٩٥٨ م ـ في عدد خاص تخاطفه الناس) وكنت تشاهد ولأيام طويلة تلت، الناس العاديين، خاصة في منطقة الأزهر والحسين، حيث عاش وكتب نجيب محفوظ عن حاراتها وميادينها «بين القصرين» و«السكرية» و«زقاق المدق»، و«خان الخليلي»،وغيرها، فكنت تجدهم يقرءون الصحف في حلقات يتزاحمون فيها حول من يمسك بالصحيفة ويقرأ بصوت عال، وسرعان ما ظهر اسم نجيب محفوظ علي مقاه ومطاعم، وخصصت العديد من المجلات الأسبوعية والشهرية أعدادا خاصة عن الحدث، بل بدأت بعض الشركات والأفراد في نشر إعلانات مدفوعة لتهنئة الشعب المصري، فنقرأ إعلانا في جريدة الأهرام ـ ١٧ ـ ١٠ ـ ١٩٨٨م ـ يقول: «شعب الإسماعيلية، وقد تلقي نبأ فوز الأديب المصري الكبير «نجيب محفوظ» بجائزة نوبل العالمية في الآداب، وهو ـ أي شعب الإسماعيلية ـ وهو

يحتفل بأعياد انتصاراته ليسعده أن يهنئ الأديب الكبير وشعب مصر الرائد بهذا الفتح الجديد للأدب المصري والرواية المصرية علي طريق العالمية تأكيدا لدور مصر الرائد في مختلف المحافل العالمية.

كما يذكر ـ أي شعب الإسماعيلية ـ بالعرفان الرعاية الدائمة للأدب والأدباء من ـ أنظر ـ الرئيس محمد حسني مبارك، والتوقيع محافظ الإسماعيلية: عبد المنعم عمارة»

وتدخل علي الخط حتى شركات المقاولات، فنقرأ في الأهرام ـ ٢٦ ـ ١٠ ـ ١٩٨٨م إعلانا مدفوعا يقول: «يوسف علام وشركاه يهنئون الأستاذ نجيب محفوظ بحصوله علي جائزة نوبل للأدب، ويهنئون السادة أصحاب مكتبة مصر التي تقوم بطبع ونشر كتب الأديب الكبير».

وعلي الخط تدخل بدورها إحدى الشركات الأجنبية العاملة في مصر، فنجد في الأهرام ١١ـ ١٢ ـ ١٩٨٨م إعلانا مدفوعا يقول: «شركة نورسك هيدرو، تشارك الشعب المصري في احتفالات فوز الكاتب الكبير نجيب محفوظ بجائزة نوبل للأدب عام ١٩٨٨م ـ شركة نورسك هيدرو رقم ١٠ شارع ٢٦١ بالمعادي الجديدة».

ما قدمنا هو نماذج من إعلانات الشركات والمؤسسات التي نشرت في الصحف والمجلات، لكن المفارقة هو إعلان منشور

في جريدة الأهرام بتاريخ ٢٥ ـ ١٠ ـ ١٩٨٨م بتوقيع نجيب محفوظ نفسه، جاء تحت عنوان «شكر»، يقول: «نجيب محفوظ إذ يشكر ربه سبحانه وتعالي علي ما من عليه من رحمة وفضل، يوجه شكره وامتنانه إلي كل من تفضل بتهنئته سواء بالبرق أو التليفون أو الرسائل أو اللقاء الشخصي ولولا استحالة رد التحية بمثلها لما تأخرت عنها.

فليعتبر كل صديق كلمتي هذه شكرا خاصا مشفوعا بأصدق عواطفي القلبية.. المخلص: نجيب محفوظ»

هذا عن الإعلانات، التي قدمنا منها نماذج معبرة، أما افتتاحيات الصحف والمجلات المعبرة عن الموقف الرسمي لها فقد خصصت جميعها، في الأعداد التالية، للحدث الكبير، فتكتب الأهرام (كبري الصحف اليومية المصرية) في عدد ١٥ ـ ١٠ ـ ١٩٨٨م تحت عنوان «مفخرة» وتقول: «جاء فوز الأديب المصري العالمي نجيب محفوظ بجائزة نوبل في الأدب فخرا جديدا لمصر والعروبة في عالم قلما يلقي بالا لأفذاذ هذه المنطقة من العالم.

وعلي المستوي الشخصي كان نجيب محفوظ علما مفردا علي النضال الطويل في مجاله. يحمل بين جوانحه روح مصر الحضارية وجوهرها البناء، وقد ظل طوال حياته مضني بعشقها تاريخا وحداثة، أرضا وبشرا، ألما وأملا، فيه تأصلت عراقتها،

وتمثل كفاحها، ومن ترابها استوحي آثاره، ومن أحداثها استلهم رؤاه، ومن أشخاصها استخرج المكنون البطولي للإنسان المصري.

وعلي المستوي النموذجي كان نجيب محفوظ مثلا حيا علي شرف الأديب وكفاحه، وعلي أصالة عنصره وقوة معدنه، لم يطلب في تاريخه الطويل مغنما، ولم يسع إلي منصب، ولم يستند في صعوده علي أحد سوي ذاته، لم يكن يملك إلا نفسه وقدراته، اختار طريقه مبكرا بين الفلسفة والأدب، فأخلص لفنه ولم يدع شيئا أو أحدا يشغله عنه، وأحسن تنظيم وقته واستثمار ساعاته فأصبح جلوسه إلي الكتابة بمثابة العبادة، واستغني عن كثير من الصلات وأثر الابتعاد عن المجتمعات تقديسا لفنه، وشقي بذلك طويلا ولكنه أخذ من ذلك وقودا متجددا لمزيد من الإنتاج المتميز، يعكف عليه كل يوم بنظام نادر، دون أن يصده شيء أو يرهقه عمل أو يوقع به يأس أو تأخذه الحياة بمشاغلها ومتناقضاتها في تيار اللا عودة، حتى ظل سنوات طوالا يكتب ويودع ما كتب في الأدراج بإصرار عظيم علي مواصلة وحدته الفنية، راضيا ألا يؤنسه فيها أحد سوي حبه لعمله ومتعته في أدائه، لم يعرف الملق ولم يعهد الوقوف علي الأبواب أو تفسيح الطرقات، ومنعه كبرياؤه الفنية الشامخة من أن يتذلل لأحد أو يتدلل علي أحد، حتى أتاه القين وسعت إليه العالمية وكللت

جهوده الرائعة بهذا الغار العظيم.

وعلي المستوي الوطني تهيئ لنا حياة نجيب محفوظ مثلا قويا علي ما يستطيعه كل مصري ينبغ في علمه أو فنه أو عمله، ويغالب شدائده الخاصة والعامة، من الوصول إلي أعلي المدارك أو أعظم المكانات بجهده وعرقه وانجازه وابتكاره، دونما سلاح آخر للتفوق إلا المجالدة الصلبة والتنظيم الجيد والمثابرة المطمئنة والإيمان العميق بجدارة الوطن والأمة والذات، إيمانا لا يعتوره شك أو يأس.. فتلك هي الأسباب الجادة الحقيقية التي لابد أن تأتي ثمارها بإذن الله».

وأترك للقارئ النظر فيما أراه ركاكة لا تليق بصحيفة عريقة، وفي الأهرام نفسها كتاب كبار لا يمكن أن يصيغوا افتتاحية صحيفتهم علي هذا النحو من الضعف والسذاجة، بالإضافة إلي خلوها ـ الافتتاحية ـ من المعلومات الضروري الاستعانة بها في مثل هذا المقام.

لكن لنذهب إلي نموذج آخر من الافتتاحيات، كاملة الأركان،ولا تخلوا من خفة ظل وفرحة، ننقله عن مجلة المصور التي خصصت عددا خاصا للجائزة، وكتبت في الحادي والعشرين من أكتوبر تقول:

«كانت الساعة الثانية والنصف من بعد ظهر الخميس الماضي، عندما دخلت السيدة عطية الله إبراهيم زوجة نجيب

محفوظ عليه غرفة نومه، كان الرجل في «سابع نومة»، هزت كتفه قائلة: «نجيب، أصحي أنت فزت بجائزة نوبل»

انتبه الرجل من «تعسيلة القيالة»، غاضبا من هذا الكسر لعادته اليومية، قال لها: «متبطلي أحلام بقي».

لكن الخبر الذي لم يكن يتوقعه الرجل من قبل، والذي لم يكن قادرا علي تصديقه الآن كان حقيقة.

فبعد دقائق كان سفير السويد بالقاهرة يدق جرس الباب، استقبله نجيب محفوظ وهو يحاول الخروج من الدهشة وعدم التصديق.

إرتدى الروب علي البيجاما.. ولم يكد سفير السويد ينتهي من كلماته حتى انفتح باب الشقة التي لم يدخلها الغرباء أبدا من قبل.. جاءت صحافة العالم وإذاعاته وتلفزيوناته ووكالات أنبائه ولم يصبح هناك مكان حتى لقدم.

المكالمة التليفونية الأولي كانت من راديو السويد الذي أصر علي معرفة رد فعل الكاتب الكبير علي الجائزة.. قال: إن الجائزة تعني الكثير له وللأدب العربي.. وانه لا يعرف ماذا سيفعل بالجائزة.

ثم جاء اتصال الرئيس حسني مبارك التلفوني، وبعد ذلك برقية الرئيس مبارك.. وقال نجيب أن اتصال الرئيس به وكلماته المشجعة والرقيقة وفرحته الشخصية بالجائزة كانت بمثابة نوبل

أخري.

وانهالت البرقيات وباقات الورد.. اتصل يوسف إدريس ويحيي حقي وفتحي غانم، وكل الكتاب والأدباء يقدمون تهنئة صافية وصادقة له.

وتبدأ زوجته في توزيع الشربات علي الحاضرين.. ولكنه يطلب منها أن تساعده في ارتداء ملابسه، وتحضر ابنتاه من العمل وعندما تفاجآن بالموقف تجهشان بالبكاء من شدة الفرح.

ثم يأتي تليفون من سكرتير الأكاديمية السويدية لكي يبلغه الخبر وفقرات من حيثيات الإهداء في حضور سفير السويد وترتفع الأيدي بالتصفيق.

سألته المصور التي كانت في بيته منذ لحظة إعلان فوزه بالجائزة إن كان سيغير نظام يومه الخاص بجماعة الحرافيش.. فيقول إن يومه سيبقي كما هو.

في السادسة مساء نفس اليوم «الخميس ١٣ أكتوبر» التقي مع صلاح أبو سيف وتوفيق صالح، وأحمد مظهر، وعادل كامل، وبهجت عثمان وهم الذين بقوا من جماعة الحرافيش ويقابلونه هذه المرة بالعناق، يتفاءلون بأن الجائزة جاءت في يوم اللقاء الأسبوعي.

ولا ينام نجيب محفوظ عقب عودته بعد سهرة الحرافيش إلا في الثالثة صباحا، وهذا يحدث لأول مرة في حياته كلها.

ذهب نجيب محفوظ إلي القصر الجمهوري بمفرده مستقلا سيارة «تاكسي» لكي يكتب اسمه في دفتر التشريفات، وزاره الدكتور عاطف صدقي رئيس وزراء مصر هو وعدد من الوزراء في منزله، وقال له وهو يغادر البيت، أنا فخور وسعيد لأنني أعيش في زمن نجيب محفوظ وعصره.

في «المصور» سرت المفاجأة حتى في هواء مكاتب المحررين، عقدنا اجتماعا طارئا بعد إعلان الفوز بدقائق، وبعده بساعة عقدنا اجتماعا آخر، وتحولنا إلي حالة من الطوارئ نناقش ونعمل ونتصل بكل عواصم العالم، وكان قرارنا الفوري، وعددا خاصا عن نجيب محفوظ، من الغلاف وحتى الغلاف، يحتفظ به القارئ مدي الحياة.

كنا نفعل هذا لأننا وضعنا الحدث في سياقه التاريخي، ففي شهر واحد عادت لنا طابا وهاهي الأوبرا تعود إلي بر مصر، والفريد نوبل بجائزته يصل إلي قلب الحارة المصرية، لقد ضبط الفرج موعده مع مصر، علي توقيت أكتوبر.

كنا نعرف أن المواطن المصري البسيط طيب القلب، ابن البلد، سعيد لأن خيرا جاء إلي بلده، لقد رأينا مصر كلها تعوم في بحار من الفرح الصافي، أخذت إجازة من خلافاتها اليومية الصغيرة، وقررنا أن نمسك بهذه اللحظة وتحاول تثبيتها في وجه الزمان.

ونجيب محفوظ نشر حتى الآن ٣٣ رواية و١٣ مجموعة من القصص القصيرة وذلك فضلا عن نحو ٥٠ قصة لا تزال مطوية في بطون الصحف والمجلات يمكن أن تشكل مجموعتين أو ثلاثا، و٣ كتب أخري وأكثر من ٣٠٠ مقال، وحوالي ٤٠٠ حوار صحفي ونشر عن نجيب محفوظ أكثر من ٢٠٠ كتاب منها نحو أربعين كتابا خصصت بكاملها لدراسة أعماله أو جوانب منها علي حين تناولته الكتب الأخرى في فصول منها.

ودارت حول أكثر من عشرين رسالة جامعية وكتب حول أدبه ما يقرب من ألفي مقال، وهذا فقط ما أمكن جمعه.

وأول مقال ظهر لنجيب كان وهو طالب في السنة الأولي بالجامعة وكان آنذاك أقل من تسعة عشر ربيعا من عمره، وكان قد نشر المقال في عدد أكتوبر ١٩٣٠م من «المجلة الجديدة» التي كان يصدرها سلامة موسي، وكان عنوان المقال «احتضار معتقدات وتولد معتقدات».

في السنة الثانية ظهر أول كتاب له وهو طالب في الجامعة، وكان كتابه المترجم مصر القديمة، وأول قصة نشرها كان عنوان «ثمن الضعف» وقد نشرت في «المجلة الجديدة» الأسبوعية بتاريخ ٣/ ٨/ ١٩٣٤م بعد تخرجه مباشرة.

وأول كتاب قصصي له هو رواية «عبث الأقدار» التي ظهرت عام ١٩٣٩م.

وقد سعدنا في «المصور» بشكل خاص، لأن الرجل الذي يعد أول عربي يحصل علي نوبل في التاريخ قرر أن يأتي إلينا، وقضي معنا خمس ساعات من الحوار المتواصل، قال الرجل انه كان من تلاميذ الهلال القديم، وتحاورنا مع زوجته بعد أكثر من ثلاثين عاما من الصمت وتحدثت إلينا ابنتاه، وكتب لنا أدباء عرب عن فوزه ومعناه ودلالته، وقادتنا جهودنا إلي منجم خصب لم يصل إليه أحد، حيث وصلنا إلي شقة قديمة ومهجورة، فيها كل ما يخص نجيب محفوظ، هناك مكتبته الأولي، وصوره النادرة التي لا توجد منها نسخة واحدة لديه، ومن بين هذه الصور صورة والد نجيب محفوظ، وعندما علم نجيب نفسه بذلك، طلب نسخة من هذه الصورة لم يكن يعلم أنها موجودة في أي مكان.

لقد قمنا بكل هذا لأننا قرأنا في الحدث العظيم مغزاه الجوهري، فالأدب العربي، وهو من آداب العالم الهامة والرئيسية، يعاد له اعتباره، علي يد كاتب مصري هو عند كل المنصفين عميد الرواية العربية الأول، وتكريمه يعني تكريم الأدب العربي بكل أجياله واتجاهاته في العالم كله.

لقد عادت اللغة العربية علي يد نجيب محفوظ كما كانت في أيامه في الزهو والازدهار، لغة عالمية، وعاد اسم مصر، أم الحضارة ليتردد علي ألسنة المثقفين والمحبين للأدب الإنساني، وهو يتردد هذه المرة في مجال الفكر والجمال الإنساني، وما

ذلك بغريب عليها، فقد كانت مصر هي أول من غني وكتب الأشعار، وحول الصخور إلي أعمال فنية خالدة، وكانت بشهادة الغرب نفسه أول من وضع مبادئ الأخلاق والسلوك المتحضر في تاريخ البشرية.

نجيب محفوظ هو ابن لكل هذا التراث العظيم، وعندما جاءت نوبل إليه إنما كانت تقديرا لكل هذه المعاني الكبيرة».

***

وكعادة العرب دخل الشعر التقليدي علي الخط، فإذا بعدد لا يحصي من قصائد المناسبات تنهال علي الصحف والمجلات وكمثال نجد شاعر الملاحم (كما يصف نفسه) كمال أمين يكتب:

من شاعر الملاحم إلي نجيب محفوظ

فازت بنوبل مصر يوم فاز بهـــــا
(نجيب محفوظ) للإبـداع في الأدب
وما عجبت لرواد الفضـــــاء ولا
لمن تباروا مع الأقمار في الشهـــب
ولا لمصـــــر و(أخناتون) أول من
بشعبها نشر التوحيد للعـــــــرب
ولا التسمي (باخناتون) منتسبـــــا
لشمس (أتون) بعدا عـن (أمنحوتب)

لكن نسياننا والغرب يذكرنـــــــا
(بنوبل) اليم أمر زاد من عجبـــــــي
أنجبت مصر (نجيبــا) في الرواية لا
يروي له غير ما يبقي علي الحقـــــب
ما غاب (طه) ولا (العقاد) عنك وفي
(نجيب) الضوء من عصريهما الذهبي
زفت له (نوبل) في ثوب جائـــزة
تغار منها (نفرتيتي) بلا غضـــــب
والفكر من وهج الأرواح تنشـــره
من العقول علي الأقلام في الكتـب

لكن الشعر الحديث لم يفوت الفرصة ليدلي بدلوه، فنجد في أهرام العاشر من نوفمبر شذرة للشاعر العراقي الكبير عبد الوهاب البياتي، وهو الذي عاش في مصر أكثر من عشرين عاما كلاجئ سياسي، يقول فيها:

من البياتي إلي نجيب محفوظ

ثرثرة فوق النيل ؟
أم وجع القلب الإنساني المخذول ؟
وهزيمة جيل ؟
أم نار أطفأها في العوامة
أمر يحتمل التأويل ؟

ثم نأتي إلي مربط الفرس، نقصد الطريقة التي فكرت بها السلطة، متمثلة في وزارة الثقافة، في مسألة استغلال فوز نجيب محفوظ بجائزة نوبل، والحقيقة أنني وجدت الوثيقة التي سأعرض لها حالا في درج المكتب الذي استلمته بمجرد أن صدر قرار تعييني كـ «مدير تحرير» مجلة القاهرة، في ١٩٩٢م (أي أنها ظلت في هذا الدرج أربع سنوات)، وبالتالي فإن هذه الوثيقة «أو القرار الإداري» وصل للمجلة باعتبارها أحد مطبوعات وزارة الثقافة، وأصدقكم القول أنني حين وقعت عيني عليها أصبت بدهشة، لا فقط من الصياغة البيروقراطية، بل صيغة الأمر العسكري الذي يراد به حشد كل هيئات الوزارة، لا في الحقيقة لتحويل مناسبة فوز محفوظ بنوبل إلي مجموعة فعاليات ثقافية جادة، بل مجرد جزء من حالة «الصهللة» التي كانت هي المنهج المعتمد لوزير الثقافة فاروق حسني، بل كانت أشبه بالنظرية التي أعلن عنها، في مجلس الشعب، وأمام ممثلي الأمة.

لكن هذا قد يبدو غير مهم مقابل ما ينضوي عليه القرار الوزاري من نقص في المعلومات،ما يترتب عليه استحالة تنفيذ بعض البنود، مثل البند الذي يأمر فيه الوزير الهيئة المصرية العامة للكتاب بنشر أعمال نجيب محفوظ الكاملة،وكأن هذه الأعمال بلا حقوق أو صاحب، الأمر الذي لم تستطع الهيئة طبعا تنفيذه، لأن هذه الحقوق كانت لا تزال في يد «مكتبة مصر ـ سعيد السحار

وشركاه بالفجالة» قبل أن تحصل عليها دار الشروق مقابل مبالغ طائلة تخطت المليون جنيه.

فلنقرأ الوثيقة كما هي ثم نعود للتعقيب عليها:

مكتب

وزير الثقافة

قرار

وزير الثقافة

رقم (٢٢٧) لسنة ١٩٨٨

وزير الثقافة

بعد الاطلاع علي نظام العاملين المدنيين بالدولة الصادر بالقانون رقم ٤٧ لسنة ١٩٧٨

وعلي نظام العاملين بالقطاع العام الصادر بالقانون رقم ٤٨ لسنة لسنة ١٩٧٨

وعلي قرار رئيس الجمهورية رقم ١٥٠ لسنة ١٩٨٠ بإنشاء وتنظيم المجلس الأعلي للثقافة والقرارات المعدلة والمكملة له

وبمناسبة حصول الكاتب الكبير نجيب محفوظ علي جائزة نوبل للآداب.

وعلي ما عرضه السيد وكيل الوزارة المشرف علي مكتب الوزير.

قرر

«المادة الأولي»

تتولي الأجهزة والهيئات والشركات التابعة للوزارة كل في إطار اختصاصه المسئوليات المحددة في هذا القرار احتفالا بالكاتب الكبير نجيب محفوظ لحصوله علي جائزة نوبل للآداب.

١) الهيئة العامة للكتاب:

- اتخاذ إجراءات طبع ونشر المجموعة الكاملة لأعمال نجيب محفوظ.
- إصدار الكتب التي تتناول بالدراسة أعماله الأدبية والفنية.
- إعداد المجلات التي تصدر عن الهيئة لدراسة وتحليل أعمال نجيب محفوظ.
- إطلاق اسم نجيب محفوظ علي القاعة الكبرى بدار الكتب.
- طبع «الكتاب التذكاري» الذي يضم كافة المعلومات الخاصة عن حياة نجيب محفوظ، وكتاباته التي لم تنشر، وبعض الكتابات لأدباء مصر ومفكريها عن أدبه وملامحه، ويعد مادته ويشرف عليه السيد / سمير غريب.

٢) شركة مصر للتوزيع ودور العرض السينمائي المركز القومي للسينما ـ بالتنسيق فيما بينهما:

- إنتاج فيلم تسجيلي عن حياة الكاتب نجيب محفوظ.
- تنظيم أسبوع للأفلام السينمائية لأعمال نجيب محفوظ في

باريس وروما.

٣) البيت الفني للمسرح:

• إنتاج المسرحيات القصيرة التي كتبها الأستاذ نجيب محفوظ في مجموعة «تحت المظلة» وهي:

(يحيي ويميت ـ النجاة ـ المهمة ـ مشروع للمناقشة ـ التركة).

علي أن يتولي إخراجها كل من: (الفنان سعد أردش ـ الفنان كرم مطاوع ـ الفنان جلال الشرقاوي ـ الفنان سمير العصفوري).

• إعادة عرض مسرحية بداية ونهاية والذي يشرف عليها تنظيميا الفنان محمود يس مدير المسرح القومي.

٤) المركز القومي للفنون التشكيلية:

• تكليف أحد الفنانين لعمل تمثال للكاتب نجيب محفوظ ويوضع في صدر مكتبة القاهرة.

٥) العلاقات الثقافية الخارجية:

• اتخاذ إجراءات دعوة الكتاب والمفكرين العرب والأجانب وفقا للقائمة المعتمدة والذين سيحضرون حفل التكريم يوم ٧/ ١١/ ١٩٨٨ بدار الأوبرا.

«المادة الثانية»

يعرض ـ علينا ـ رؤساء الأجهزة والهيئات والشركات المشار إليها برنامجا زمنيا يتضمن خطوات وتوقيتات التنفيذ والميزانية

التقديرية وذلك في موعد غايته أسبوع من تاريخ صدور هذا القرار.

«المادة الثالثة»

علي الجهات المختصة تنفيذ هذا القرار ويعمل به من تاريخ صدوره ويلغي ما يخالفه من قرارات.

وزير الثقافة

فاروق حسني

صدر بتاريخ ١٨/ ١٠/ ١٩٨٨.

هذا هو نص القرار، وفي البداية نتساءل: هل كان من الضروري إصدار قرار حتى تقوم مؤسسات وزارة الثقافة المعنية بدورها ؟

كان من الممكن أن يكفي اجتماع في مكتب الوزير، لتقسم العمل، ومعرفة الوزير بما لدي كل مؤسسة أو شركة أو هيئة بما يمكن أن تقدمه، لكن يبدو إنها مناسبة لتخصيص ميزانيات، ومكافآت، و إكراميات، وخلافه، وأن هذا هو السبب الحقيقي، لا بأس، لكن:

ـ ما علاقة «الاطلاع علي نظام العاملين المدنيين بالدولة الصادر بالقانون رقم ٤٧ لسنة ١٩٧٨م ؟

وكذالك القانون رقم ٤٨ لسنة ١٩٧٨ م، وعلي قرار رئيس الجمهورية رقم ١٥٠لسنة ١٩٨٠ م بإنشاء وتنظيم المجلس

الأعلى للثقافة والقرارات المعدلة والمكملة له ؟

نقول: ما علاقة نجيب محفوظ بكل هذه القرارات والقوانين، خاصة ونحن نعرف انه لا يعمل في وزارة الثقافة، كما انه لم يتقدم بطلب وظيفة، ولا هو كان مرشحا لوظيفة في الوزارة.

سؤال بريء ينشأ تلقائيا حين يقرأ المرء هذه الديباجة، والمعني، طبعا، في بطن الشاعر.

لكن تعال لنلق نظرة علي ما نفذ من هذه التكليفات والأوامر: فنجد انه:

بالنسبة لهيئة الكتاب فلم تتمكن، طبعا، من تنفيذ البند الأول،أي نشر أعمال الكاتب الكبير الكاملة، لأنها، وبساطة وكما أسلفنا، لا تمتلك حق النشر.

أما البند الثاني المتعلق بإصدار كتب عن الكاتب الكبير، وأعداد خاصة من مجلات الهيئة تخصص له، فقد تم هذا بشكل ممتاز، وإن كان بعض الكتب فيها نظر.

وقد أطلق بالفعل اسم الكاتب الكبير علي القاعة الكبرى بدار الكتب، كما تم طبع الكتاب التذكاري بنجاح.

أما بخصوص الأفلام التسجيلية عن حياته، فقد انعقد الأمر بعدد من المخرجين الجادين ورأينا بالفعل أعمالا جادة، بعضها كان قد أنتج من قبل الجائزة، وأخري أنتجت بعدها، لكنها جميعا كانت معقودة بمؤلفيها (مخرجيها هنا) ومشروعات أفلامهم

كانت ضمن اهتمامهم الذي لا علاقة له بأوامر السيد الوزير الذي جاء في هذه الوثيقة،ونخص بالذكر هنا فيلمي: داوود عبد السيد وهاشم النحاس، وإنما يظل الفضل للمركز القومي للسينما، التابع لوزارة الثقافة، في إنتاجه، علي حساب ميزانية الوزارة.

أما بالنسبة لإنتاج مسرحياته، فلم يتحقق منه إلا النذر اليسير، ولم يكن علي المستوي المطلوب واللائق، الأمر الذي جعل المشاهدين ينصرفون عن هذه العروض.

ثم نجد التمثال الذي أمر القرار بعمله قد نفذ بالفعل، ولكن تمت مخالفة القرار فبدلا من أن يوضع «في صدر مكتبة القاهرة» حسب نص القرار، وضع في ميدان سفنكس، وقد يحمد المرء هذه المخالفة، لكن يمكن للقارئ الكريم أن يذهب إلي ميدان سفنكس ليجد هذا التمثال الذي لا يمكن أن يتبين منه روح نجيب محفوظ الكاتب المقدام مرفوع الهامة ليجد شيخا عجوزا يتوكأ علي عصاه، ويمسك بكتاب ظاهر بيده كما لو كان أحد أدعياء الثقافة الذين يتظاهرون بإمساك الكتب.

***

علي أي حال قد يجد القارئ شيئا من الطرافة في قراءته لهذا القرار البيروقراطي، لكن أيضا يمكن لباحث يدرس العلاقة بين السلطة والمبدعين أن يجد فيه ما له دلالة فارقة في الموضوع.

قصة / ٨

الموسوعة التي فشلت
بسبب نقص التمويل

في مناخ الاحتفاء والفرح الذي أشاعته جائزة نوبل، فكرت في عمل موسوعة أسميتها «موسوعة نجيب محفوظ» فيها كل ما يتعلق بأدبه وحياته وتاريخ القاهرة ومصر عبر عصورها المختلفة وحتى الآن،أي ذلك الوقت، وما أن بدأت في تأمل مقتضيات المشروع الذي خلت أنه سيكون في مثل موسوعة جيمس جويس التي أنشأها الباحث والمترجم المتخصص في أدب الكاتب الأيرلندي العظيم طه محمود طه، أقول ما أن بدأت في تقليب الموضوع من هنا وهناك حتى اكتشفت أنه لا بد من تكوين مجموعة عمل يكون ضمنها إن لم يكن أهمها مؤرخ متخصص وعارف بالقاهرة القديمة وتاريخها وخططها، وكان الصديق المؤرخ عرفة عبده علي هو الأنسب من بين كل من أعرف من المؤرخين، وهو رحب بالفكرة أيما ترحيب، كما كان لابد من الاستعانة بمساعدة تقوم بالعمل الإداري والأرشيفي وترتيب المواعيد وما يقتضيه العمل، وكانت مساعدتي النابهة ضحي طه،

وهي كانت علاوة علي دقتها في العمل، محبة للأدب، فأبدت ترحيبها هي الأخرى، وهكذا كتبت المشروع في ورقة هي أشبه بالخطة العامة التي تقول في ديباجتها:

موسوعة نحيب محفوظ.. لم ؟، وما هي ؟ ومن يستفيد منها ؟

بعد فوزه بجائزة نوبل، واتساع دائرة الاهتمام الشعبي والرسمي وفي أوساط المهتمين بأدبه، لا في مصر وحدها، بل في أنحاء العالم، تأتي الحاجة إلي إنشاء موسوعة شاملة عنه وعن أدبه وحياته.

ونظرا لامتداد الفترات الزمنية التي تتناولها أعماله، أو تجري فيها أحداثها منذ عصر الفراعنة (رواياته التاريخية ـ عبث الأقدار ـ رادو بيس ـ كفاح طيبة) وحتى العصر الحديث، منذ الحرب العالمية الأولي وما سبقها وما لحقها (القاهرة الجديدة ـ وما بعدها) وما احتوته أعماله التي بلغت سبعة وأربعين كتابا، بين مجموعة قصصية وحوارية ومسرحية، علاوة علي عشرات المقالات والقصص) التي لم تجمع في كتب، لذلك ولما تحويه هذه الأعمال من معلومات تاريخية، وأسماء شخصيات، وأحداث سياسية وتيارات فكرية، وأماكن لا حصر لها، علاوة علي ترديدات الثقافة العربية من شعر وأمثال وحكم وأيام وعادات وتقاليد وديانات وفلسفات ومدارس علمية وصوفية وأساطير وملاحم شعبية، لذلك، ومع تزايد أسئلة القراء المترجمين

والصحفيين وقراء الرواية والدارسين والنقاد والناشرين والبحاثة في علوم البلوجرافيا والتاريخ الأدبي والنقدي، علاوة علي المهتمين بأعماله التي قدمت علي الشاشتين الكبيرة والصغيرة، أو علي خشبة المسرح، نقول بعد أن اتسع الإتمام بكاتبنا الكبير، تراءي لنا أن نقوم بهذا العمل الثقافي الكبير ليكون المرجع الرئيس لحياته وأعماله والموسوعة تعمل علي:

ـ تعريف، وتوثيق المفردات، وتبيان أصلها التاريخي سواء كانت اسم مكان، أو شخص، أو لفظة عامية غريبة علي غير أهل القاهرة القديمة، أو لفظة عربية فصيحة مهجورة ، أو تشير إلي عادة أو حدث سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي، أو هي في سياقها لها معني خاص عند محفوظ مما يحتاج إلي مقاربة أو مقارنة.

ـ توثيق المعلومات التي تتعلق بأعماله سواء كانت مقالة أو مقابلة أدبية، أو أي من أعماله القصصية والروائية، لإثبات المعلومات المعتمدة علي الأصل.

ـ تثبيت المعلومات المتعلقة بحياته الخاصة أو العامة بناء علي الوثائق الرسمية.

ـ تتبع الموسوعة النظام الأبجدي والتبويب الموضوعي، حتى يسهل استخراج المعلومة بيسر وسهولة.

ـ تصاحب المعلومات الصور والخرائط والرسوم الضرورية.

ـ تضم الموسوعة صور طبق الأصل من الوثائق الشخصية،

البطاقة، شهادة الميلاد، الشهادات الدراسية، الخ.

ـ نصوص مقالاته وقصصه التي نشرها في بداية حياته ولم تنشر في كتب مستخرجة من بطون المجلات والصحف التي نشرت فيها.

ـ قائمة بالكتب العربية والأجنبية التي كتبت عنه أو عن أعماله.

ـ قائمة بالمقابلات التي أجريت معه.

ـ قائمة بالرسائل الجامعية التي جرت عن أعماله.

هذا بالإضافة إلي فهرس موضوعي للأعلام والشخصيات والأماكن والتواريخ.

وكان المتوقع أن تبلغ الموسوعة ما بين ألف وألفي صفحة، تضم نحوا من عشرين ألف مادة في الطبعة الأولي التي ستكون البداية لطبعات تالية تزاد في كل طبعة.

كانت أول خطوة أن اتفقت مع المشاركين في تنفيذ الموسوعة (المحرر المشارك المؤرخ عرفة عبده علي، و المساعدة) بل قمت بكتابة عقد مع الصديق عرفة، كان أهم ما فيه هو اعتباره مشاركا بنسبة ٤٠ ٪ ، أما المساعدة فكان علي أن أتولي مسئولية دفع مكافأتها من جيبي الخاص.

ثم كانت الخطوة الثانية وهي الحصول من نجيب محفوظ علي موافقته علي الفكرة، باعتبار أن الموضوع يخصه أولا وأخيرا، وفي هذا الوقت كان الصديق الناقد فتحي العشري يتولي

مسئولية تنظيم المواعيد مع الكاتب الكبير، وبالفعل تم اللقاء في المكتب الذي خصصته مؤسسة الأهرام للقاءاته (وبالمناسبة كان هو مكتب توفيق الحكيم، وهو أكبر مكاتب الدور السادس الذي كان محمد حسنين هيكل قد خصصه للكتاب الكبار) وقد رحب الكاتب الكبير بالفكرة، بل وأبدي إشفاقه علينا وقال إن هذا مشروع ضخم المفروض أن تقوم به مؤسسة كبيرة .

بدأنا العمل، وكان دوري أن أقوم باستخراج المفردات المراد تعريفها أو توثيقها، وتقسيمها إلي قسمين، الأول ما يخص التاريخ حيث يتولي كتابته الصديق عرفة، والأخرى ما يخص المفردات الأدبية، وهو ما كان من المفروض أن أقوم بكتابته، وقد قام الصديق عرفة بالانتهاء من كتابة المادة التاريخية التي تخص نحوا من عشرة كتب، وكان هو يعمل في المعهد العلمي الفرنسية ويتقاضي راتبا لا بأس به، أما أنا فكنت أعيش من عملي كمراسل ثقافي لعدد من المجلات والصحف المصرية، فلم يكن بإمكاني التفرغ للعمل في الموسوعة، ومرت عدة أشهر حتى لم يعد بإمكاني الاستمرار في الأنفاق علي الموسوعة، ففكرت في اللجوء للحصول علي منحة تفرغ تساعدني علي الاستمرار في العمل، وبالفعل تقدمت بالأوراق المطلوبة، وضمنها مشروع الموسوعة، وكنت أظن أنني سأحصل علي المنحة، لكن للأسف لم يتم ذلك، وقد عرفت من أحد الأصدقاء بأن ناقدا معينا، كان

فاعلا في لجنة الدراسات، عارض بشدة إعطائي المنحة بحجة أن هذا عمل من أعمال وزارة الثقافة، وأنني لست باحثا، وبالتالي لا يصح أعطائي المنحة، وكان من الممكن، لو خلصت النوايا، أن يتم التفاهم لتحويل المشروع إلي وزارة الثقافة، لكن كان من الواضح أن النية كانت تتجه إلي إفشال المشروع بصرف النظر عن أي شيء آخر.

وكمثال علي المواد التي استخرجناها أسوق هنا ثلاث مواد، إحداها تاريخية، والأخرى مفردة لنوع من الوسائد التي لم تعد مستخدمة في عصرنا، والثالثة مفردة لغوية، وكلها من أول رواياته: (عبث الأقدار، ١٩٣٩م) ومن الصفحة رقم ٥ التي تعد الصفحة الأولي من المتن،حتى يتبين الجهد الذي كنا نقوم به، وللأسف لم نتمكن من إنجازه.

المادة الأولي: مادة «منف»، وجاء في تعريفها:

« يرجع المؤرخ الإغريقي «هيرودوت» إنشاء مدينة منف إلي الملك مينا، مؤسس الأسرة الأولي، وكانت تسمي في بادئ الأمر مدينة الجدار الأبيض، ثم أطلق عليها، في عهد الملك ببي الأول من الأسرة السادسة، «من نفر» التي حرفها الإغريق إلي ممفيس، والعرب إلي منف، وقد عرفت هذه المدينة في العصور التاريخية بأسماء عديدة، منها «نيوت» أي المدينة، «نيوت نحح»، أي المدينة الأبدية، و«عنخ تاوي»، أي حياة الأرضين....

وكان الغرض من بنائها، أن تكون قلعة لمراقبة أهل الدلتا..، وقد استطاع ملوك العصر العتيق، بفضل موقعها المتوسط، الإشراف علي الوجهين البحري والقبلي.. ومن المؤكد أنها ظلت عاصمة لمصر من الأسرة الثالثة إلي الأسرة الثامنة...

وتقع أطلال منف عند قرية ميت رهينة بمركز البدرشين، علي بعد خمسة وعشرين كيلو مترا من مدينة الجيزة، ، وعلي الرغم من انه لم يبق من منف القديمة سوي تمثال ضخم لرمسيس الثاني، مستقر علي ظهره، وتمثال مرمري له علي شكل أبي الهول، وسرير رخامي لتحنيط العجول المقدسة، ومقصورة صغيرة لسيتي الأول، وكتل حجرية وأسس أعمدة هي كل ما تبقي من معابد الإله بتاح الضخمة، التي ترجع إلي مختلف العصور، فإن زيارة هذه المنطقة لا تزال تطبع نفس الزائر بأعمق الانطباعات وأروعها.. بتصرف من، هيرودوت، والموسوعة العربية الميسرة، وكتاب مصر القديمة تأليف سليم حسن ..»

المادة الثانية من نفس الصفحة: «تفتأ»، يقال: ما فتيء يفعل كذا / ما زال، وفي القرآن الكريم: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾ أي لا زلت تذكر يوسف.

المادة الثالثة من نفس الصفحة: «نمرقة» الوسادة الصغيرة يتكيء عليها، جمع نمارق، وهي الطنفسة فوق الرجل، وفي القرآن الكريم ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾».

ويمكن ملاحظة أنه في الصفحة الواحدة هناك مابين ثلاث إلي عشر مفردات تحتاج إلي تعريف.

***

بعد أن هدأت انفعالاتي، وتوقفت عن الاستمرار في العمل في مشروع الموسوعة، حمدت الله أنني لم أقم بعمل الموسوعة لأن المفاجأة أنها ستكون موسوعة تاريخية، أكثر من أي شيء آخر، وربما كان سيفسر ذلك باعتبار سوء النية، بأنني كنت قاصدا إلي إبراز أن نجيب محفوظ مؤرخ أكثر منه روائي، وطبعا لم يكن هذا قصدي أبدا، بالعكس كان قصدي أن تضيف الموسوعة إلي الأعمال التي تبرز عمل كاتبنا الكبير، ولكن هذا ما جري وكان.

قصة / ٩

التحقيق الذي تصدر مجلة «حقوق الناس» دفاعا عن «أولاد حارتنا»

حول منتصف تسعينيات القرن الماضي، كان الصراع المجتمعي قد تحول من الرصاص الواضح، والذي استطاعت قوات الأمن ضربه في القلب، لكن دون أن تقضي عليه، تحول هذا الحراك إلي هجمة شرسة علي المفكرين والأدباء، تماهت مع أصوات ممجوجة طالبت بمنع ألف ليلة وليلة، بل وحرقها،وما كشفته الأيام من كيف انضم الرجعيون إلي الفاسدين في مجلس الشعب، في لعبة المساومة التي شاهدنا أثرها في قضايا عدة كان أهمها قضية نصر أبو زيد، لكن نفس هذه الأصوات بدأت بحملة ضد نجيب محفوظ، وأصدر شيوخ الإرهاب فتاو، تكفر الرواية، كما تكفر صاحبها، وهو ما انتهي بالمحاولة الفاشلة لاغتيال نجيب محفوظ ، في هذه الفترة نفسها.

من ناحيتي كنت بصدد إصدار مجلة مختصة بحقوق الإنسان، بالتعاون مع الصديق المحامي المناضل أمير سالم، الذي كان هو صاحب المشروع من الناحية الرسمية، وكنت أنا المسئول عن

تحريرها، وعلي الرغم من أن المجلة لم تصدر كما خططنا لها، لكنني كنت قد تمكنت من إصدار عددين مبدئيين، تم توزيعهما علي نطاق ضيق للغاية، لأنه من ناحية لم تكن التراخيص قد تم الحصول عليها بعد، ومن ناحية ثانية كان لا بد من طبع أعداد، تسمي في العرف الصحفي، أعداد تجريبية وهو ما توضحه افتتاحية العدد «صفر ١» التالية:

« هذا العدد.. لماذا؟

«عند إنشاء «الصحيفة» لابد من إصدار عدد تجريبي يكون المقصود به:

ـ قياس الزمن من حيث التوقيتات وضبطها بين جميع الأطراف المشاركين في إنتاج الصحيفة، بين الإدارة والتحرير، وبين التحرير والإخراج، وبين الإخراج والتنفيذ، وانضباط كفاءة العاملين في كل هذه الإدارات والأقسام حتى تخرج الصحيفة للقارئ.

ـ وضع العدد بين أيدي خبراء التحرير، والكتاب، وسماع رأيهم في مستوي التحرير، ونوعية الموضوعات، ومدي جاذبية الصياغة، ومناسبتها للمطبوعة، ودقة وأمانة المعلومات، وجمال العناوين، والفقرات.. الخ، فيما يدخل في باب تفاصيل حرفة الكتابة، والاستفادة بهذه الآراء المختلفة، أو بعضها، لاستكمال ما قد يكون ناقصا أو فات محرري المطبوعة والمسئولين عنها من هذه الناحية.

.....

ـ العدد التجريبي إذن هو عدد بين أطراف الحرفة، وليس مقصودا به التوزيع علي القراء المحتملين، وإن كان من المفروض عرضه مجانا علي عدد محدود من الشرائح المستهدفة في المجتمع للاستماع إلي آرائهم وأحيانا ما يكون رأي القارئ هو الأهم بين جميع الأطراف.

ـ هذه هي أغراض إصدار العدد التجريبي الذي هو بين يديك، لكن لابد من توضيح التوجه العام لهذه المطبوعة... ونقصد هنا التوجه الفكري الذي ستسير عليه...الذي هو العمل علي نشر ثقافة حقوق الإنسان،و التصدي لقضايا الدفاع عن ضحايا حرية الرأي والتعبير.. و توعية الناس بثقافة حقوق الإنسان ونشر الفكرة بينهم...و تشكل هذه المطبوعة الطموح الأكبر لتؤدي جزءا كبيرا من هذه الرسالة.

لكن علينا أن نوضح أيضا أن فهمنا لحقوق الإنسان لا يقتصر علي حقوقه الديمقراطية،وحريته في التعبير عن آرائه، بل حقه في أن يعيش في بيئة نظيفة، ومجتمع سلام لا اقتتال بين أطرافه، خال من المرض والجهل والتلوث الصوتي والسمعي والبصري، أي التوعية بكل ما يصل بالإنسان إلي أن يكون إنسانا حقا، وهو، نظن، أمل عزيز وأمنية تستحق أن نبذل هذا الجهد الشاق من أجل تحقيقها....»

في هذا الإطار، وهذه المطبوعة، وفي هذا العدد صفر الذي لم يتم توزيعه، إلا علي نطاق ضيق للغاية بذلت مجهودا كبيرا لأسجل هذا التحقيق الذي جاء تحت عنوان «رواية نجيب محفوظ المحبوسة: أقوال وشهادات تطالب بالإفراج عن «أولاد حارتنا» هنا نصه:

«إن كان العالم من حولنا يجد في حرية الرأي والتعبير مقياسا لحضارته، فإننا للأسف لا نزال نلجأ إلي أسلوب المنع والمصادرة، ما يرسخ فكرة «التكفير» بدلا من الحوار، والإدانة بدلا من الجدل بالكلمة والمقال.

الآن وقد مر علي صدور رواية «أولاد حارتنا» أكثر من أربعين عاما وهي في الحبس، عدنا لما كتب عنها فوجدنا المئات من الآراء المطالبة بالإفراج عنها، وبالأخص جاء تقرير لجنة نوبل ١٩٨٨ التي منحت نجيب محفوظ الجائزة العالمية ليشيد بهذه الرواية، مما يدفعنا للوقوف مع هذا العمل، ولا يعني هذا أننا نريد فرض رأي بعينه وإنما الوقوف في صف الحقيقة.

هنا مقتطفات من هذه الشهادات والأقوال:

١ ـ عبد المعطي حجازي: ليست نصا دينيا:

لنفرض أن رجلا ممن عاشوا في القرن الماضي مثلا أحب أن يشتري جارية حسناء، فمن من يطلبها ؟ يطلبها عند أحد

النخاسين طبعا.

فإذا أحب أن يستمع إلي قصيدة في وصف حسنها، هل يطلبها عند النخاس ؟ بالطبع لا، وإنما يطلبها عند الشاعر.

فإذا رغب في معرفة حكم الدين في الرق، فأين يلتمس حكم الدين ؟ يلتمسه عند العالم أو الفقيه.

أظن أننا متفقون علي هذا كله، وعلي أن الراغب في شراء الجارية يختلف عن الراغب في سماع قصيدة، كما يختلف الشعراء عن النخاسين، والنقاد عن الفقهاء.

فما رأيكم لو ادعي الناقد لنفسه حق الفتوى الدينية ؟ لا شك أنه في هذه الحالة يتجاوز حدود علمه، ويتكلم فيما لا يحسن الكلام فيه، ويكون لأبي حنيفة أن يمد رجليه ولا حرج !

والأمر بالمثل تماما حين يدعي الفقيه لنفسه الحق في نقد الشعراء والروائيين كما حدث كثيرا من قبل في بلادنا وبلاد الآخرين، وكما لا يزال يحدث عندنا نحن وحدنا إلي هذا الزمن الأخير، إذ يظن أكثر الناس أن التخصص المطلوب في مناقشة مسائل العلم ليس مطلوبا في مناقشة مسائل الأدب والفن، وأن من حق أي إنسان أن يدلي بدلوه في حديث الشعر والنثر والتصوير والنحت والتمثيل والغناء، وأن يتكلم في هذه الفنون كلام المصلح الاجتماعي والزعيم السياسي والواعظ الغيور.

نقول للسيد من هؤلاء لست جهة اختصاص يا مولانا، لأن

نظريات المجتمع والسياسة والأخلاق شيء، ونظريات الفن شيء آخر.

.....

وأقرب مثال علي هذا الأسلوب في التعامل مع الفن ما قرأناه أخيرا حول رواية نجيب محفوظ «أولاد حارتنا» والتقرير الذي كتبه أحد فقهائنا الأجلاء عنها ورفعه إلي الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، فكان سببا في مصادرة الرواية ومنع تداولها في مصر.

لو كان نجيب محفوظ قد كتب رسالة في الفقه أو ألف كتابا في تاريخ الأديان لكان عمله داخلا في اختصاص الفقهاء، ولكان من حق أصحاب الفضيلة أن يتحدثوا عن الحق والباطل والإيمان والكفر في رسالة نجيب محفوظ أو في كتابه، علما بأن الفقهاء يختلفون فيما بينهم، واختلافهم رحمة، وقد يري بعضهم رأيا ويري عكسه فقهاء آخرون، أما والكتاب الذي ألفه نجيب محفوظ ليس كتابا في الفقه ولا في العقيدة، وإنما هو رواية فالفقهاء ليسوا جهة اختصاص، لهم بالطبع أن يقرءوا الرواية، ولهم أيضا أن ينتقدوها، لكن بلغة النقد الأدبي، لا بلغة النقد الشرعي.

ولقد آن الأوان أن نعيد النظر في أمر هذه الكتب الممنوعة والمصادرة.. لا رواية محفوظ وحدها، بل كتاب طه حسين «في الشعر الجاهلي» وكتاب لويس عوض «في فقه اللغة العربية» أيضا.

٢ ـ مصطفي بدوي: رواية منحازة:

تعد رواية «أولاد حارتنا» واحدة من عدد لا بأس به من الروايات العربية المجازية، فهي تستحضر الجو الخاص بقاهرة قديمة في زمن سرمدي، وربما كانت سرمدية الزمن هنا ملائمة تماما خاصة وأن الموضوع يرمز في واقع الأمر لتاريخ الإنسانية جمعاء، ويحث الإنسان الأبدي عن الدين منذ آدم وحواء وقابيل وهابيل وموسي وعيسي ومحمد (صلعم) حتى آخر الأنبياء وأعني به ـ مجازا ـ إنسان العلم.

ومما يسترعي الانتباه أن الرواية مقسمة إلي مائة وأربعة عشر فصلا، وهو نفس عدد سور القرآن الكريم، مما يومئ في هذا السياق بأن التماثل كان شيئا مقصودا من المؤلف، فالروائي وضع نصب أعيننا رؤية إنسان العصر لقصص الأنبياء والنبوة كما جاءت في القرآن.

٣ـ رجاء النقاش: رباط التاريخ:

كل ما كتبه نجيب محفوظ له صلة بمصر والتاريخ والإنسان والمستقبل في مصر، خاصة روايته «أولاد حارتنا» وأدبه ـ من هنا ـ هو لون من الأدب السياسي الرفيع، وهذه نقطة قوة أساسية تربط بينه وبين تاريخنا القومي برباط لا ينقطع.

٤ ـ لمعي المطيعي: تحفة فنية:

إن رواية «أولاد حارتنا» تحفة فنية خالدة ـ ليس فقط في أدبنا العربي فحسب، بل ستحتل مكانها عن جدارة في آداب الشعوب كلها، لأنها تتحدث عن الانسان في كل زمان ومكان.

٥ ـ الطاهر أحمد مكي: لنفهم علي مهل:

.. تبقي ملاحظة أخيرة، أقولها قارئا متأملا، وناقدا مفسرا، لا يعنيني ماذا يريد نجيب محفوظ، وما اهتم به أولا وأخيرا ماذا تقول رواية «أولاد حارتنا» وهي تقول أشياء كثيرة، وعميقة، ومزلزلة، وإذن فلا بأس أن نفهم ما تقول علي مهل وفي جرعات.

٦ غالي شكري: ملحمة روائية:

بين اللقاء مع الثورة والافتراق عن سلبياتها بدأت خيوط رواية نجيب محفوظ أولاد حارتنا التي لولاها لما استأنف الرجل الكتابة الأدبية بعد توقف دام خمس سنوات.

إنها الرواية التي بدأت أكبر جريدة مصرية (الأهرام)نشرها بين أواخر ١٩٥٩ وأوائل ١٩٦٠ ـ وقد كان اليسار المصري رهن الاعتقال والتعذيب، ولكن اليمين الرجعي ـ خاصة في الأوساط الدنية ـ قد تمكن من أن يمنع نشر هذه الرواية في كتاب ـ علي أنها نشرت في العام ١٩٦٨ في العاصمة اللبنانية بيروت ـ كما أنها نشرت بالانجليزية في العاصمة البريطانية لندن.

إنها الرواية التي صفي فيها محفوظ حسابه مع التناقض الناصري بين منجزات العدل الاجتماعي والخسائر الفادحة للديمقراطية والبلبلة الواسعة بشأن الهوية الوطنية.

«أولاد حارتنا» ملحمة روائية تحكي هذا الصراع فوق أرض مصر لا أي صراع آخر فوق أي أرض أخري،هل العدل الاجتماعي توأم القمع؟ وهل الديمقراطية نقيض الاشتراكية، ربما كان السؤال عالميا وإنسانيا.

٧ ـ إبراهيم الدسوقي شتا : ابن الحضارة الإسلامية :

إن الخوض كل الخوض انصب علي «أولاد حارتنا» علي أساس أن الماركسيين والمتمركسين وأشباههم، وهم سدنة كهنوت النقد في بلدنا ـ اعتبروا أولاد حارتنا وثيقة إلحاد ! رغم أن «عرفة» الذي يمثل العلم في أولاد حارتنا يصر علي انه لم يقتل «الجبلاوي» بل كان القتيل عبدا أسود، لعله يرمز به إلي الدين المنحرف، ورغم أن نجيب محفوظ نفسه اعتبر انه ابن الحضارة الإسلامية.

٨ ـ حمدي السكوت: الحل الصوفي:

الموقف إذن كما تعرض «أولاد حارتنا» يتلخص في الشك في الدين التقليدي والارتياب كان في جدوى العلم، وبصيص من الأمل في دين جديد يقتنع به أبناء عصر العلم، وقد برهنت

أقوال نجيب محفوظ وأعماله اللاحقة علي أن هذا الدين عند أديبنا الكبير هو التصوف ذاته.

ففي لقاء مع أحمد حمروش منشور بجريدة الجمهورية في الثامن من يناير ١٩٦٠م، أي بعد الانتهاء من نشر «أولاد حارتنا» في الأهرام يصرح نجيب محفوظ بأنه ينادي بـ «الصوفية الاشتراكية».

٩ أحمد صبرة: مشكلة سوء فهم:

«أولاد حارتنا» رواية معضلة، ليس بين روايات نجيب محفوظ فقط، بل بين الروايات العربية كلها منذ بداياتها الأولي وحتى الآن.

إن المختلفين حول قيمتها الأدبية يقفون علي طرفي نقيض، فحيثيات جائزة نوبل تشيد بها، وتخصها مع ثلاثيته الشهيرة بتنويه خاص، وكاتب كبير مثل يحي حقي يتمني أن يبدع مثل هذا العمل الكبير، وآخرون يرون فيها ذروة الإبداع الأدبي لنجيب محفوظ، علي الرغم من انه نشرها عام ١٩٥٩ وأنه أخرج بعد هذا التاريخ عشرات الروايات، وفي المقابل فإن ناشر أعمال نجيب محفوظ الذي ينوه بمؤلفاته في آخر صفحة قد أسقطها من بين أعماله، وربما لأسباب تتعلق بحظر نشرها، وبعض الذين كتبوا عنها من النقاد، وهم قليلون، قد عدوها دون بقية أعماله، وانه كتب قبلها وبعدها أفضل منها بكثير، ثم إن رجال الدين في مصر قد شنوا

عليها، وعلي الكاتب بالتبعية، حملة شعواء، انتهت بحظر نشرها في مصر في كتاب، علي الرغم من أن جريدة الأهرام نشرتها مسلسلة علي صفحاتها في نهاية الخمسينيات وبإثارة الشكوك حول عقيدة نجيب محفوظ التي وصلت في بعض الأحيان إلي المروق عن الإسلام، والاستهانة بالأديان الأخرى.

معروف كل هذا ومشهور، لكن المعضلة تترك ما أحيط بالرواية منذ ولادتها، وما يحاط بها إلي الآن، إلي الدوافع التي حدت بنجيب محفوظ إلي «كتابتها» وإلي الشكل الروائي الذي اختاره لها، وليس مألوفا البحث عن دوافع الكاتب خاصة في العصر الحديث، إن تفكيك النص الأدبي وتجزئته جائز ومشروع، والبحث في مدلولاته الفكرية والاجتماعية والنفسية والسياسية واللغوية قد يجد مسوغا له عند بعض المدارس النقدية، لكن من النادر أن يطرح تساؤل حول النص الأدبي نفسه، ولماذا أنتج أصلا؟ وهي معضلة نجد لها إجابات مبهمة في بعض مدارس النقد القديم، التي تحدثت عن شرائط الإبداع، وأسبابه، حديثا عاما لا يخص عملا دون آخر، علي حين تهمل اتجاهات النقد الحديث مثل هذه النوعية من الأسئلة لتنفذ إلي النص نفسه، وتجرده من تاريخه وظروفه الخاصة.

إن روائيا متمكنا من أدواته مثل محفوظ، لا يقدم علي هذه المغامرة دون إدراك لما يفعل، ودون أن تكون هناك أسئلة يحاول

البحث عن إجابات لها من خلال التأمل في تاريخ الأديان.

١٠ ـ محمد قطب: الرمز والمثال:

إن مصادرة الرأي عادة أدبية مصرية، آن لنا أن نتخلص منها، لأنها أحد مسببات التطرف والجمود معا، ورواية «أولاد حارتنا» وغيرها من الكتب المصادرة، هي التي تحترم الإنسان لاعتمادها علي العلم منهجا، ولمخاطبتها العقل الإنساني.

١١ ـ طلعت رضوان: كتاب مشكلة:

إن «أولاد حارتنا» كتاب مشكلة، في تاريخ المصادرة، رفضه رجال الدين وتجاوز عنه نقاد الأدب، من موقعين مختلفين، فهل نأمل في مناخ ديمقراطي يسمح بالإفراج عن الكتاب وتداوله، ليكون القارئ ـ القارئ وحده ـ هو الحكم علي الكتاب وهو القيم علي نفسه ؟

١٢ ـ كيبر بيتشنكو: الاصطدام:

في «أولاد حارتنا» التي صدرت بعد سبعة أعوام من ثورة عام ١٩٥٢م كانت نقطة انطلاق لتفكير المؤلف وقضية ما أعطته الثورة للشعب المصري، فكان لابد وأن يصطدم بها !

١٣ ـ آلان روجر: الحساسية الجديدة:

ليس من قبيل المصادفات أن ظهرت خلال عام ١٩٥٩ م في آن واحد مع «أولاد حارتنا» رواية «البيضاء» من تأليف يوسف

إدريس، وبغض النظر عن كونهما روايتين مختلفتين تماما من حيث الشكل، فإنهما كانت بمثابة الممهدتين المبشرتين بولادة نثر «الموجة الجديدة» في الستينيات والتي عبرت في تياريها المستحدث وحامل التقليدية الجديدة، عن التحسس الجديد في الأدب المصري، وهذا التحسس الجديد مرتبط علي السواء بظروف التطور التاريخي للمجتمع المصري وأحداث الحياة الاجتماعية والسياسية أو برد الفعل في الأدب المصري علي تأثيره السريع بالعملية الأدبية العالمية الشاملة، وبهذا يمكن تفسير ملامح الرواية المصرية خلال العقود الأخيرة قبل تسييسها الحاد وفي الوقت نفسه شمولية مواضيعها.

١٤ ـ د مني ميخائيل: رواية طبائع البشر:

من المنطلقات الفكرية لرواية «أولاد حارتنا» رؤية نجيب محفوظ لطبائع البشر، وهو يقترب في ذلك من الفيلسوف الإنجليزي توماس هوبز في نظريته التي تقوم علي أساس أن الإنسان ذئب لأخيه الإنسان.. وبالتأكيد فإن تأمل نجيب محفوظ لما يدور حوله كان يزيد من اقتناعه بهذه الفكرة.

١٥ ـ د إبراهيم السعافين: الشخوص وصراع الحياة:

قذف نجيب محفوظ في هذه الرواية «أولاد حارتنا» بالشخوص في صراع الحياة، في دنيا الحارة التي ما عرفت الطمأنينة والعدل

والحق والخير إلا في فترات عارضة من تاريخها، وفي سائر الأحوال تسود القوة الغاشمة والسلطة القاهرة، وهكذا كانت الحارة حين ظهر فيها جبل ورفاعة وقاسم وعرفة..

١٦ : حسن حنفي: العلم والسياسة:

بموت الجبلاوي في رواية «أولاد حارتنا» أصبح الإنسان مسئولا عن نفسه، ولكن انتهاء ناظر الوقف (رجل الدين) لا يعني انتهاء النبوت (رجل السياسة) وسرعان ما يقع العلم في خدمة السياسة كما وقع الدين من قبل، وكما كان رجال الدين تحت إمرة رجال السياسة كذلك يصبح العلماء في خدمة السلطان، فالأولوية للسياسة علي العلم.

١٧ : فيصل دراج: شهادة علي الزمن المعاش:

نجيب محفوظ لا يخرج من التاريخ إلا ليعود إليه، ولا يعود إلي التاريخ الحقيقي إلا ليخرج منه إلي التاريخ المجرد، وفي هذا الانتقال المتناقض يتناوب الكاتب والرواية الشهادة علي الزمن.

تشهد الرواية علي زمانه فيما يكتب عنه، وتكون مرآة، ويشهد الكاتب علي زمانه في علاقته بالموضوع الذي يكتب عنه، لا يخرج التاريخ الفعلي إلا احتجاجا عليه، ويعود إلي هذا بسبب منطق الاحتجاج ذاته .

١٨ : محمد دكروب : موقف سلبي :

موافقة عبد الناصر علي مصادرة رواية «أولاد حارتنا» سببت فرض وصاية الأزهر علي الفكر والإبداع المصري، وهذه كارثة أدت بنا إلي انفجار تيارات الإرهاب والإسلام السياسي.

والغريب أن احدي حيثيات منح محفوظ جائزة نوبل هي اعتبار هذه الرواية عملا من أكبر الأعمال الإنسانية في الأدب العالمي، وما زال للآسف تعسف الأزهر قائما ضد هذه الرواية.

وأوجه اللوم لنجيب محفوظ علي موقفه السلبي من عدم الدفاع عن هذه الرواية وحذفها من فهرس أعماله في آخر كتبه.

١٩ : فاروق عبد القادر : الكل قرأها :

لا أجد مبررا واحدا علي مصادرة رواية «أولاد حارتنا» فقد نشرت في أكبر جريدة مصرية وهي الأهرام، والكل قرأها !

وقبل الأستاذ نجيب الحل الوسط وهو أن تطبع الرواية خارج القاهرة، وهي أول وآخر عمل روائي يطبع خارج القاهرة لنجيب محفوظ حيث دفع بها إلي دار الآداب ببيروت عن طريق سهيل إدريس، فلماذا تمت مصادرتها ؟

٢٠ : عبد الرحمن أبو عوف : سابقة خطيرة :

من المؤسف أن الشيخ محمد الغزالي قد وضع سابقة خطيرة بكتابة التقرير الكئيب والسلفي لاتهام رائعة نجيب محفوظ

الروائية «أولاد حارتنا» بالإلحاد، غير متفهم المنحي التعبيري الرمزي الذي أراده نجيب محفوظ في نصه الروائي التجريبي الذي يخلط بين الملحمة والحكاية والأمثولة.

٢١: إبراهيم فتحي: ضد نبابيت الفتوات:

أعتقد أن عبد الناصر كان شخصيا ضد رواية «أولاد حارتنا» لا لأسباب دينية وإنما لأسباب سياسية، فالغريب أن نجيب محفوظ نشر هذه الرواية مسلسلة في جريدة الأهرام في عامي ٥٩ ـ ١٩٦٠ م، وهذا العام وجهت أكبر حملة اعتقالات لليسار المصري، ولقد انهي نجيب محفوظ روايته بهذه الكلمات الدالة: «ولسوف يسطع النور في حارتنا وتختفي منها نبابيت الفتوات» وهذه الكلمات كانت موجهة لحكم عبد الناصر البوليسي.

قصة / ١٠

لماذا يكره محفوظ فكرة السفر ؟

،، نشرت هذه القصة في باب «اللحظة الحرجة» الذي كان أحد الزوايا التي كتبت تحتها في جريدة «صوت الكويت» عام ١٩٩١م، ولا أذكر الآن، لم اخترت أن أكتب عن «اللحظة الحرجة» في حياة نجيب محفوظ، ولكن، علي أية حال، كانت هذه احدي القصص التي كتبتها في سياق ما كتبته عنه طوال السنين، وكان سفره للعلاج إلي لندن، إثر حادثة الاعتداء عليه في المحاولة الآثمة التي قام بها شاب يدعي ناجي محمد مصطفي الذي قام بطعنه بمطواة وقد اعترف انه أحد شباب الجماعة الإسلامية وانه قام بتنفيذ جريمته اثر فتوى الإرهابي عمر عبد الرحمن مفتي الجماعة المذكورة الذي أحل دم نجيب محفوظ بسبب روايته «أولاد حارتنا»، وبناء علي توجيهات هذه الجماعة (التي كان قادتها في هذه اللحظة وعلي رأسهم عبود الزمر وناجح إبراهيم وعاصم عبد الماجد وعصام دربالة موجودين في السجن) إلا أن الجاني ذكر أنهم كانوا علي اتصال بمجموعته التي قامت بهذه الجريمة،،

اللحظة الحرجة هنا، بالنسبة لنجيب محفوظ، هي لحظة السفر.

وهي دائما لم تكن بالنسبة له لحظة عادية.

كان حتى وهو يسافر داخل مصر، إلي الإسكندرية، كل صيف، كان يلقاها بكثير من القلق، ويحب أن تتم خلسة ودون أية طقوس وداع.

لذا فإنه وبمجرد أن وافق علي قرار سفره للعلاج في لندن طلب ألا يتم وداعه بشكل احتفالي، ومع ذلك حاول التملص من السفر عدة مرات، لكن زوجته وربما لأول مرة، أصرت علي سفره وبذلت جهدا كبير في إقناعه بمساعدة أطبائه والمقربين من أصدقائه، كالمخرج توفيق صالح، والممثل أحمد مظهر، والمحامي عادل كامل والرسام بهجت عثمان، وهم شلة الحرافيش الذين يسهر معهم مساء كل خميس غالبا في منزل عادل كامل الريفي خارج القاهرة، ثم مؤخرا في أحد المقاهي.

وحين استغرب البعض إصرار السيدة «عطية الله إبراهيم» زوجة الكاتب الكبير علي سفره سرت إشاعة انه يعاني مرضا معينا، لكنها بلباقتها استطاعت إقناع من اتصل بها من الصحفيين بأن هذه مجرد إشاعة لا أساس لها، وأن ما أذيع حول أن رحلة العلاج هي للتأكد من مدي إصابة أحد شرايين القلب هو الصحيح.

وفي سبيل إرجاء سفره بقدر الإمكان أقنع محفوظ المحيطين به، بعد أن تقرر السفر، بأنه ليس من اللائق ألا يلتقي بأصدقائه الحرافيش لوداعهم، وكذلك رواد ندوته الأسبوعية في مقهى قصر النيل الكائن بوسط القاهرة علي النيل.

وهكذا كان اللقاء الأخير مع الحرافيش بكازينو قصر النيل حيث أعضاء الفريق مع عدد آخر من الفنانين والكتاب.

الحوار الذي جري طوال الساعتين اللتين قضاهما محفوظ مع أصدقائه انصب حول السفر، ومشاكله، ولم يعلق محفوظ طويلا، بل بدا في حالة أشبه ما تكون بالشرود وإن خالس الابتسام بين اللحظات.

لكن لم يكره محفوظ السفر ؟

حين سألنا السيدة زوجته هذا السؤال تحفظت في الرد وقالت: أبدا إنها مجرد أقاويل.

لكنني أذكر أنها أجابت عن هذا السؤال بصراحة أكثر.

فحين وجه لها هذا السؤال يوم فاز بجائزة نوبل عام ١٩٨٨م أجابت:

ـ أعتقد أنها عقدة نفسية، تكونت لديه منذ الصغر، فقد كان أبواه يمنعانه من السفر، وكانت والدته تخاف عليه كثيرا، وكان يخضع لذلك، فلم يسافر إلي الخارج، رغم كثرة الدعوات التي تلقاها واعتذر عنها، إلا اليمن ويوغسلافيا وبناء علي طلب

الحكومة. أما حين سئل هو نفسه هذا السؤال لماذا تكره السفر ؟ ولماذا لا تسعي لأن تري بعينيك عوالم أخري؟

أجاب:

ـ أنا لا أكره السفر، ولكن لا أحب مجرد التفكير في الخروج من مصر، هذا التفكير يشقيني إلي أبعد حد، مع العلم بأنني كنت سعيدا للغاية عندما سافرت هاتين الرحلتين (يقصد إلي اليمن عام ١٩٦٢م وكتب عنها قصة قصيرة «ثلاثة أيام في اليمن» مجموعة «تحت المظلة» ويوغسلافيا ١٩٦٦م) وما زالت يوغسلافيا تعيش في ذاكرتي، وعندما كنت هناك لم أطلب العودة إلي مصر ولم أتعجلها، بل علي العكس استمتعت كثيرا برحلتي.

ولكن السؤال أعيد إليه مرة أخري: ولماذا تضايقك فكرة السفر ؟

فقال:

ـ لا أعلم، بمجرد أن يحدثني أحد عن السفر يتغير مزاجي وأشعر بضيق وهذا ليس خوفا من ركوب الطائرة كما يعتقد البعض، بل علي العكس أشعر بالراحة فيها، وقد سافرت إلي الإسكندرية مرارا بالطائرة، ولكنني لا أعرف بالضبط ما سر كراهيتي لفكرة الخروج من مصر، ولكنني نادم لأنني لم أستطع السفر، فقد أتيحت لي فرصة لكي أري الدنيا بأسرها بدون أن أتكلف مليما واحدا من جيبي، بل ربما كانت بعض الأسفار

ستجعلني أعود محملا ببعض المال، مثلا في روسيا ترجموا أعمالي وتم طبعها ونشرها ولي عنها نقود أعتقد أنها كثيرة كما أبلغوني، ولكن حقوق المؤلف لا تمنح له إلا إذا سافر إلي موسكو، ومع هذا لم أسافر، وأنا رجل ـ صدقوني ـ ليس عندي نقود ولكنه شعور ينتابني مع فكرة السفر أفسد علي الاستمتاع بشيء أنا متأكد ومدرك تماما حجم فائدته.

هذا ما قله نجيب محفوظ بنفسه عن فكرة السفر ويبدو انه لم يعد بإمكانه أن يكرر الإجابة مرة أخري، لذا فانه حين سئل هذا السؤال ليلة سفره، وهو جالس بين مريديه في ندوته الأسبوعية، لم يجد الحماس للكلام حول الموضوع، وابتسم ابتسامته العذبة الذكية.

وربما كان طلبه أن يتم سفره دون احتفال أو طقوس، بل وحتى دون مودعين، من مسئولين أو غير مسئولين، من أقارب أو أصدقاء، يقف وراءه هذا القلق الذي جعله في حالة غير عادية منذ أذعن لقرار السفر.

وهكذا سافر بالفعل.

لم يكن في وداعه سوي زوجته وابنته «فاطمة» التي قادت سيارتها التي حملت الأسرة الصغيرة إلي المطار، وأصر علي أن يعود صديقه الحميم المخرج «توفيق صالح» من أمام منزله، وهو الوحيد الذي عاده في منزله صباح السفر.

ولشدة قلقه لم ينتظر حتى حضور عربة مؤسسة الأهرام التي كان من المفروض أن تقله إلي المطار، ولكنه لم يعدم عددا من الجيران وبسطاء الناس الذين يعيشون حول بيته المتواضع في شارع «جمال عبد الناصر» الموازي للنيل وهم يقولون له: تعود لنا بالسلامة يا عم نجيب.

أما في المطار فكانت صحبة من الورد تنتظره علي سلم الطائرة قدمتها له مضيفة حسناء باسم الشركة الوطنية.

قصة / ١١

كيف عمدت الرواية المصرية بالدم... حتى سال دمه هو شخصيا

حول العام ١٩٦٩م حكي لنا «نجيب محفوظ» ذات جلسة في مقهى ريش حكي لنا عن أول رواية نشرت في جريدة السياسة الأسبوعية.

في إحدى العصاري المشرقة، حكي لنا ـ نحن الأدباء الشباب الفقراء نحيلي الأعواد، رومانتيكي المظهر ـ عن أول رواية نشرت مسلسلة، قال:

ـ إنه لما نشرت «زينب» في «الجريدة» لأول مرة، قامت خناقة بين المجاورين (أي طلبة الأزهر)، والأفندية استعملت فيها النبابيت، قال، وسالت الدماء أنهارا.

قال، والعهدة علي الراوية الذي تفوح منه رائحة الحكايا، فعلا، وماذا كان الخلاف، وقد شالت عربات الإسعاف «المبطوحين» علي النقالات وجرت بهم صارخة إلي القصر العيني، قال، والعهدة علي الراوية العاشق للروايات، كان الخلاف حول أنه كيف يجوز لرجل أن «يشخص» فتاة، يصف عينيها السوداوين،

وقوامها الفارع، وشفتيها وجيدها وخصلاتها شعرها، ومن يعرف وربما «غنجها» ويبث من روحه حياة، يبث في روحها حياة من روحه، كيف يخلق فتاة وهو الإنسي المخلوق الذي لا يجوز له أن يصف الخصر أو القد، الأنفاس أو النظرات، أن يرتكب هذه الفعلة الشنعاء؟

وكان هذا هو المنظر في بدية القرن، أما في منتصفه، علي مشارفه بالأحرى، فقد قامت حكاية أخري، لم تستعمل فيها النبابيت هذه المرة، بل استعملت «التقارير» فقد كان هذا هو عصر التقارير، بعد ان انتقلت البشرية من عصر الشفاهية إلي الكتابة، وفعلت التقارير فعلها بالفعل، إذ عملت علي جز أطراف منها، واستجاب هيكل الثاني فجز أطراف الرواية، قال، ونشرت مهلهلة ناقصة، بل وحجبت عن الناس، حتى استجاب شاب غر، فخز السكين في رقبة الراوي ذات عصرية اكتنفها الضباب، فسال الدم، لا ممن رقاب الأفندية هذه المرة، بل من رقبة كاتب الروايات الذي ظن أن الزمن قد مشي وتحرك، وأنه قد نجي بفعلته، بالفعل، وهذه المرة، لأنه ظن أن من حقه أن تكون له روايته للقصص الشعبي، كما أي عازف ربابة يروي قصص الأنبياء علي طريقته، أن يستلهمها بالأحرى في عمل من الخيال، تمشيا مع تقليد قديم: فكم هناك من أسفار حكت روايات وروايات من قصص الأنبياء، تلك التي، في النهاية، ينتصر فيها

الخير علي الشر، وهو هكذا فعل، لكن لأننا كنا قد دخلنا عصر الظلام، أقصد في العتمة الشديدة، في الانهيار، في الحطام الذي بين الأنقاض والجثث التي جرفتها السيول، بين روائح الفساد حتى إنه وجدت جثتان لرجل وامرأة يمارسان الحب محترقين، وأسرة كاملة ملتصقة العظام متفحمة، ورضيع ظل يسبح أسبوعا كاملا بين اللهب، لأننا كنا قد دخلنا عصر الفساد العظيم، بين الأطلال، ونحن إذ وصلنا إلي ذلك، فقد فعلت التقارير فعلها بعد قرابة نصف قرن آخر، فاستل حفيد ذلك الشيخ الأعمى نصله وغرسه في رقبة الراوية الذي يفوح حكايا، فسالت الدماء، لا لأننا في عصر التقارير، بل في عصر السكاكين التي تسيل الدم حتى لا تفوت اللحظة فيختلط ـ الدم ـ بماء السيل الملتهب الذي جرف الجثث بين الأنقاض، لكن الرواية كانت قد أفلتت من النيران، أفلتت وسبحت بين اللهب في حضن ذلك الرضيع، ووصلت، هذه المرة إلي الناس، فتعالوا نتمايل علي الأطلال:

قفا نبك من ذكري حبيب ومنـــزل

بسقط اللوي بين الدخول فحومـل

ملاحظات:

- «الجريدة» هي جريدة السياسية الأسبوعية التي كان يصدرها لطفي السيد، ومؤلف رواية «زينب» التي وصفها بعض مؤرخي الأدب بأول رواية في الأدب العربي (في احد الروايات) هو محمد حسين هيكل.
- أما هيكل الثاني فالمقصود به محمد حسنين هيكل رئيس تحرير جريدة

الأهرام وقت نشر «أولاد حارتنا» مسلسلة فيها، وهو اضطر لاجتزاء فقرات منها، حتى أن النسخة التي نشرت في كتاب،(دار الآداب ـ بيروت) هي نسخة ناقصة، لأنها نقلت عن النسخة التي نشرت مسلسلة.

- والنسخة الوحيدة الكاملة هي الطبعة الإنجليزية (التي أخذت عنها الترجمات الأخرى) فقد اعتمد مترجمها علي النص الأصلي الذي حصل عليه من نجيب محفوظ نفسه، ولا تزال النسخة المتداولة بالعربية حتى الآن ناقصة، لأننا عرب.

فهرست

قصة / ١: اشتريت «ثرثرة فوق النيل» بفلوس دواء أبي وكيف أدي هذا إلي هروبي من البيت ؟ ١١

قصة / ٢: المقالة التي أغضبته فوصف كاتبها بقلة الأدب. ٢٧

قصة / ٣: مساهمة الخواجة «دينيس» في وصول محفوظ للعالمية. ٤٣

قصة / ٤: كيف كان يجور علي رواياته من أجل السينما. ٥٣

قصة / ٥: اللحظات الأولي لفوزه بالجائزة وكيف لخصت أعماله في ست ساعات. ٦٧

قصة / ٦: النصابة العالمية لطشت نصيبه من فلوس الجائزة. ٩٩

قصة / ٧: كيف حول عامة المصريين فوزه بنوبل إلي مولد شعبي والسلطة إلي فعاليات بيروقراطية تكشفها وثيقة رسمية. ١١٩

قصة / ٨: الموسوعة التي فشلت بسبب نقص التمويل. ١٤٣
قصة / ٩: التحقيق الذي تصدر مجلة «حقوق الناس» دفاعا عن «أولاد حارتنا». ١٥٣
قصة / ١٠: لماذا يكره محفوظ فكرة السفر ؟ ١٧١
قصة / ١١: كيف عمدت الرواية المصرية بالدم حتي سال دمه هو شخصيا. ١٧٩